

الدكتور
محمد أبو زيد الفقى

الحاجز النفسى

[دراسة فى الخطابة العملية]

دار البيان للطباعة والنشر

دار البيان

للطباعة
والنشر
والتوزيع



٧ عمارات الجبل الأخضر
بجوار نادى السكة الحديد
ووزارة المالية الجديدة
مدينة نصر
تليفاكس : ٤٨٢٢٤٨٧
ت- ٤٨٣٤٣٢٧

رقم الإيداع
٢٠٠٣/١٨٤٠٧م

الترقيم الدولى
977-335-136-x

مقدمة

الحمـــد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المــبعوث رحمة للعالمين، اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آله الكــرام الطيبيــن وعلـــى مـــن ســـار على دربهم إلى يوم البعث العظيم.فيها

فإنه فى الفترة الأخيرة لوحظ أن الشكوى قد كثرت من تدني مستوى كثير من الخطباء والوُعّاظ والمتحدثين من خريجى الأزهر الشــريف، وقد أدى هذا إلى اتهامهم بقلة العلم والخبرة التى تؤهلهم إلـــى الحديث المبين، وهذا الاتهام ظالم فى شقه الأول، مصيب فى شـــقه الـــثانى المتعلق بالخبرة، فالعلم موجود بدرجات متفاوتة عند خـــريجى الأزهر الشريف، إلا أن الخبرة فى مجالى الأداء والتبليغ هـــى الـــتى تنقصهم، وقد نتج عن هذا الخلل بسبب التركيز الشديد علـــى التلقين فى العلوم النظرية وإهمال التدريب، والتطبيق، ومن هنا امتلأ عقل الطالب بالمعلومات النظرية، وصعب عليه فى كثير من الأحيان أن يعبر عما بداخله.

ومـــن هـــنا شـــرعت فى بحث الخطابة والأداء – ليس من الناحـــية التاريخـــية الـــتى تهـــتم بأفصح الخطباء وكيف أثروا فى مستمعيهم – ولكن من الناحية العملية الأدائية، وكان لابد من البداية بحل بعض المشكلات النفسـية التى تواجه المتحدث أو الخطيب قبل

الأداء. وعلـــى الصـــفحات التالية سوف أركز على معالجة مشاكل الخطباء من خلال علم النفس، والمضمون والأداء مع تذييل البحث بالتدريب الذى يحل المشكلات ويجلب للمتحدث الثقة فى نفسه وفى أدائـــه وفى الهدف الذى يسعى إليه غير أن هذه الطريقة لن يكتب لها النجاح إلا بتعاون كلا الطرفين المحاضر والطالب على السواء، لأنهـــا تستلزم الدقة والمثابرة والرغبة القوية فى أداء عمل يرضى الله ســبحانه وتعالى، والله من وراء القصد، وهو نعم المولى ونعم النصير.

د/ محمد محمد أبو زيد

الباب الأول

الحاجز النفسى

الفصل الأول: المزايا النفسية للخطيب

الفصل الثانى: تخطى الحاجز النفسى

الفصل الأول

المزايا النفسية للخطيب

ليس هناك مهنة تجلب لصاحبها الثقة بالنفس والرضا والتوازن مثل مهنة الخطابة والأداء والبلاغ، فهى عمل الأنبياء والمرسلين والمصلحين فى كل العصور، وهى وسيلة شريفة لنقل الرسالات السماوية وشرحها إلى الناس، وهى التى تحدد المبادئ الكريمة والسلوك القويم فى الحياة، وهى من خلال كل ذلك تعود على القائم بها بالخير الكثير من الناحية النفسية، وبالتالى تغمر حياته بالسعادة والاستقرار ولا يتوقف ذلك على الخطابة الدينية فقط بالنسبة لخُطْبَة الجمعة والعيدين ... إلخ بل نصرفُ ذلك إلى الوعظ والإرشاد والتوجيه والتدريس وهذا يشمل الرجال والنساء على السواء، وفى ما يلى شرح لبعض المزايا التى تعود على الخطيب أو المتحدث بشكل عام.

١- الثقة بالنفس:

الثقة بالنفس أمل تتطلع إليه أفئدة القائمين على الدراسات النفسية لأن الثقة بالنفس مرحلة أو حالة - يمكن إذا وصل الإنسان إليها أن يعالج بسهولة من أى مرض نفسى يلم به.

ويــزداد قــوة نفسية تعوضه وتعضده فى مواجهة كثير من مشاكل الحياة وظروفها القاسية.

ولــيس مــن المــبالغة فى شئ القول بأن معظم الأمراض النفســية تنشأ عن فقدان الثقة بالنفس، وأنه يستحيل علاج أىٍّ منها علاجاً تاماً من غير أن تعود للإنسان المريض ثقته بنفسه.

ولا تقــف الخطابــة كعــامل حاسم فى تكوين الثقة بالنفس ومعالجة الأمراض النفسية فحسب، بل تخطى ذلك إلى الوقاية التى هى خير من العلاج.

سيكولوجية الخطابة:

قد يُحصل الإنسان كثيراً من العلوم التى لو أتيح له أن ينقلها إلــى الــناسِ لحصــلَ المجتمعُ الإسلامى من وراء ذلك على خيراً كثــيراً، لكن حرج الإنسان وخوفه من الإقدام على الخطوة الأولى، يــؤدى فى النهاية إلى ضياع هذا العلم الغزير الذى تعلمه والذى لم يستطع أن يوصله إلى غيره.

ولا تــتوقف حالة الحرج هذه على عدم تبليغ العلم فقط، بل تــتطور وتتضــخم فى نفس هذا الإنسان حتى تستولى عليه تماماً، ويعجــز بعــد ذلــك عــن المطالبة بأىِّ حقٍ له فى الحياة، وكلما اعترضــته مشــكلة عجــز عن التعبير عن شعور حيالها، وتحديد

انفعالاتـــه تجاهها. وهو بهذا يتجه إلى الكبت الذى يؤدى بدوره إلى كثير من المشكلات النفسىة التى تتقلب إلى أمراض نفسية فيما بعد.

وتعلم الإنسان طريقة الأداء الناجح وتدريبه على ذلك، يؤدى هذا إلى تطور القوة النفسىة لهذا الإنسان ونمائها، بل يؤدى ذلك فى النهاية إلى نجاح رسالة هذا الإنسان فى الحياة، لأن التعلم رسالة لا يكتب لها النجاح إلا بالتبليغ، والتبليغ فى ذاته يكسب المبلغَ الثقةَ فى النفس، ويجعله يشعر بالريادة والقوة بين قومه.

ويلاحظ أن كلَّ الرسلِ والأنبياءِ يكونون قبل تكليفهم بالرسالة أُناساً عاديـيـــن لا يمـــيزهم عن غيرهم إلا طهارة النفس، وسلامة القصد ولكـــن بعـــد التكليف بالتبليغ يتحولون إلى شخصيات ضخمة فاعلة ومؤثرة فى مجتمعها، بل فى كل العالم كما حدث مع رسول الله ﷺ ، ولذلك كان واجب الرسالة يتوقف على تبليغها، وقد قال الله تعالى لرســـوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَـــلْ فَمَـــا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَـــوْمَ الْكَافِرِيـــنَ﴾ [١]، ومـــن هـــنا كان التبليغ هو هدف الرسالة ووسيلتها أيضاً.

---

[١] سورة المائدة ٦٧.

سموه المبلغ:

يستمر المبلغ فى أداء رسالته حتى يعيش فى هذه الرسالة ويعيش لها، ويصبح جزءاً منها وهى جزء منه، ولا يرى فى الدنيا أحب إليه من هذا التبليغ لرسالته، ولقد حاول المشركون أن يمنعوا رسول الله ﷺ من أداء رسالته بشتى الوسائل فكانوا يلوحون له فى بعض الأحيان بالمال والرياسة، ولكن الرياسة ليست هى الريادة فالريادة رسالة وأداء، ودور كبير فى الحياة، ولكن الرياسة هى شغل جزء من هامش الحياة، وكانوا ينظرون إليه ﷺ بمعاييرهم الأخلاقية ولكنه فاجأ الجميع بأخلاق المبلغ ورغباته فى الحياة، فقد قال لعمه الذى أرسل من قبل المشركين: (يا عماه والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر، لن أتركه إلا أن يظهره الله أو أهلك دونه)[١].

ومن هنا فالدنيا كلها لا تساوى البلاغ عند المبلغ، لأن البلاغ يصل عند المبلغ إلى كيان ووجدان.

ونبى الله تعالى موسى عليه السلام قبل الرسالة من ربه سبحانه وتعالى ولكنه تحرج من الأداء، وطلب من ربه سبحانه وتعالى أن يرسل معه أخاه هارون لأنه أفصح منه فى الأداء، وقد جاء ذلك فى كتاب الله تعالى على هذا النحو قال تعالى:

---

[١] سيرة ابن هشام جـ١.

﴿ وَأَخِـــي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّـــي أَخَـــافُ أَن يُكَذِّبُـــونِ . قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُـــلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ [١]، ولـــم يجـــد نبـــي الله موسى عليه السلام حرجاً من طلب أخيه لأنه أفصـــح مـــنه في البلاغ، وهو فى موضع آخر فى الكتاب العزيز يوضـــح علـــة هذا الطلب، وأنه لا يقدر على البلاغ بسبب ظروف نفســية تلم به عند تعامله مع فرعون وقومه. قال تعالى "قَالَ رَبِّ إِنِّـــي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ. وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ.[٢]

والظـــروف النفســية يتحدث عنها سيدنا موســى عليه السلام فى الآيتين الكريمتين هى:

الخوف من التكذيب:

ولا شـــك أن الداعية لابد أن يتشبع قلبه بالثقة؛ لأن الخوف من التكذيب عامل نفسى مثبط لقوة الأداء والبلاغ.

ضيق الصدر:

وضيق الصدر يمنع المبلغ من ترتيب أفكاره وتنظيمها، ويجعله لا يؤثر فى مستمعيه.

---

[١] سورة القصص ٣٤، ٣٥.

[٢] سورة الشعراء ١٢، ١٣.

اعتقال اللسان:

وهى حالة تصيب المتحدث إذا مر بالمشاكل النفسية السابقة وهذه الحالات لخصها سيدنا موسى وجعلها سبباً فى عجزه عن أداء رسالته إلا أن اضطلاعه بواجب الرسالة ومهمة الأداء ساعده على أن يكـــون هو المؤدى والمبلغ فى كل المواضع التى جاء ذكره فيها فى الكتاب العزيز وتوارى دور سيدنا هارون تماماً، ليصبح معضداً فقـــط، ومعنى هذا أنه تجاوز مشاكله التى أعلن أنها تمنعه من أداء الرسالة.

ولم يقف نبى الله موسى عليه السلام عند حدود التغلب على مشـــكلة فـــى الأداء، بـــل نقل القرآن الكريم إلينا أنه أدى بفصاحة وبلاغـــة وعقل راجح، وفكر شامل، ورؤية واضحة وهذا يؤكد ما ذهبـــنا إليه من أن للخطابة والأداء فوائد جليلة للخطيب والمتحدث على السواء.

انظر إلى هذا الحوار الذى دار بين فرعون ونبي الله موسى علـــيه السلام قال تعالى – ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُـــرِكَ سِـــنِينَ. وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ التى فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ. قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ. فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمـــاً وَجَعَلَنِي مِنَ المُرْسَلِينَ. وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْـــرَائِيلَ. قَـــالَ فِـــرْعَوْنُ وَمَـــا رَبُّ العَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ

وَالأَرْضِ وَمَـــا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ. قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمِعُونَ. قَـــالَ رَبُّكُـــمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ. قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الذى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْـــنُونٌ. قَـــالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ. قَـــالَ لَئِـــنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ. قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ. قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِى ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِى بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ .[١]

من هذا الحوار تدرك المكانة التى تبوأها سيدنا موسى عليه السـلام فى الأداء الكامل، لأن الأداء ليس معناه فقط نطق الكلام، ولكـنها مسألة متشابكة، متعددة الجوانب، وكما رأينا فقد نجح سيدنا موسى عليه السلام فى كل هذه الجوانب وتجنب الإثارة.

" دقة الحوار "

رأيـنا فـيما مضـى نبى الله موسى عليه السلام الذى كان يـتحرج من الحوار مع فرعون، رأيناه بعد أن تحمل أمانة الرسالة يحاور فرعون فى فصاحة شديدة ودقة بالغة، وثبات ومثابرة بالغين وفى أسلوبٍ وعرضٍ بليغين.

ولكـى تتضـح الصـورة نعود إلى شرح الحوار بصورة مفصـلة، ولقد تم الحوار على هيئة سؤال وجواب وحاول فرعون جهـده أن يسـتثير سـيدنا موسى عليه السلام بالهجوم عليه تارة

---

[١] سورة الشعراء ١٨ : ٣٣.

ومحاولـــة إيقاعـــه فى الحرج تارة أخرى، لكن ثبات سيدنا موسى ومثابرته أفسد على فرعونَ خُطَتّه فى الحوار وخِطَّتِه فى النزال.

السؤال الأول:

يقول فرعون لسيدنا موسى عليه السلام: (قال ألم نربك فينا ولـــيداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين).

يقـــول الإمـــام ابن كثير: "أى أما أنت الذى ربيناه فينا وفى بيتـــنا وعلى فراشنا وأنعمنا عليه مدة من السنين، ثم بعد هذا قابلت ذلـــك الإحســـان بـــتلك الفعلة، أى قتلت منا رجلاً وجحدت نعمتنا علـــيك.[1] هـــذا هـــو رأى العلامة ابن كثير يرى أن فِرْعَوْنَ يذكر سيدنا موسى بأنه قابل الإحسان بالإساءة وهو رأى صحيح من هذه الزاوية.

وأزيـــد عليه – من خلال دراسة الجو النفسى للحوار – أن فرعون – والله أعلم – كان يريد أن يوقع سيدنا موسى فى الحرج، فهو يريد أن يقول للقوم الذين حضروا المناظرة أن هذا الذى يدعو إلـــى الإيمان كافر وقاتل، وليس أمام سيدنا موسى عليه السلام إلا الاعـــتراف بالحادثـــة وفى ذلك تصديق لزعم فِرْعَوْنَ، أو إنكارها وهـــو بذلك يكون قد كذب أمام هذا الجمع وفى ذلك نسف لرسالته

---

[1] تفسير ابن كثير جـ٣ ص٣٢٢ ط الحلبي.

مـــن الأساس لأن الصدق من الصفات اللازمة للرسل، ولذلك فهذه الـــبداية للحوار من فرعون تعتبر بداية بارعة إلى حد بعيد، إلا أن رد سيدنا موسى عليه السلام كان أشد براعة وأعمق أثراً في نفوس السامعين.

فقـــد بـــدأ فاعترف أنه فعلاً قد قتل نفساً ولكنه لم يكن كافراً بقـــتله هذه النفس بل كان ضالاً يبحث عن الحق، والآن وقد وصل إلى الحق وكلف بتبليغه فإن الأمر بات مختلفاً.

تـــنظر إلـــى الإجابة: قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ففرت مـــنكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكماً وجعلنى من المرسلين وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى إسرائيل)، رأيت إلى هذه البراعة فى الإجابة، ثم يعقبها بالسخرية من فرعون، سخرية مهذبة ولكنها قاتلة فـــى نفس الوقت فهو يقول له هل فى استعبادك لبني إسرائيل نعمة تمـــنها على، وهو بهذا يقلب الموقف النفسى فى الأداء الذى بدأ فى صـــالح فـــرعون ثم انقلب عليه فى النهاية، فقد بدأ الموقف النفسىُ بسخرية فرعون من ذلك الذى يدعى النبوة وحمل الرسالة وهو فى الأصـــل قاتل ناكر للجميل، وانتهى الموقف بأن سحق سيدنا موسى هـــذه السخرية بصدقه فى الإجابة، وثباته فى الأداء، والسخرية من فِرْعَوْنَ ومن دعواه.

يقـــول الإمـــام ابن كثير فى الآية الأخيرة: (وما أحسنت إلى وربيتـــنى مقـــابل ما أسأت إلى بنى إسرائيل، فجعلتهم عبيداً وخدماً تصرفهم فى أعمالك ومشاق رعيتك أيوفى إحسانك إلى رجل واحد منهم بما أسأت إلى مجموعهم، أى ليس ما ذكرته شيئاً بالنسبة، لما فعلته بهم).[١]

السؤال الثانى:

(قال فرعون وما رب العالمين)، يحاول فرعون مرة أخرى أن يوقع سيدنا موسى عليه السلام فى الحرج بسؤاله عن العالمين، وهو يسأله بالتى يرتكز السؤال بها عن الماهية، وهو يحرجه بذلك لأنـــه لا يعلـــم ماهية الله تعالى إلا هو سبحانه وتعالى، ولكن سيدنا موســـى ذلـــك المحاور الثابت يتجاهل هذه المصيدة التى نصبها له فـــرعون، ويعرف الله تعالى بآلائه وآياته، وهو التعريف الصحيح الـــذى يستقيم فهمه فى عقول السامعين، فيقول (قال رب السموات والأرض ومـــا بينهما إن كنتم موقنين)، يحاول فِرْعَوْنَ بعد أن فشل للمـــرة الـــثانية فـــى إحراج نبى الله موسى عليه السلام يحاول أن يظهـــر دهشته ويتظاهر بأنه لم يفهم الإجابة فيقول لمن حوله (قال لمـــن حولـــه ألا تستمعون) ولكن سيدنا موسى المتمكن من ناصية الحـــوار الثابـــت فى الأداء يتجاهل بدور هذا التجاهل، ويستمر فى

(١) المرجع السابق جـــ٣ ص٣٣١.

عـرض تعـريفه لله تعالى وكأن أحداً لم يتحدث ليؤكد بذلك صحة قضيته وقوتها، فيقول (قال ربكم ورب آباؤكم الأولين). وكأنه يقول لفـرعون أن هـذا الـرب الـذى تـتجاهل معرفته هو ربك رب الحاضرين ورب آبائكم الأولين.

يعـود فـرعون إلى المناوشة والاستفزاز والإثارة ليحاول إخـراج سيدنا موسى عن ثباته وذلك بسبه والسخرية منه، فيقول: (قـال إن رسـولكم الذى أرسل إليكم لمجنون)، فهو يتهمه بالجنون لكـي يزيل آثار العبارات التى ألقاها سيدنا موسى على مسامعهم، ولكن سيدنا موسى عليه السلام لم يلق بالاً لهذا الهجوم واستمر فى الإجابة نفسها عن تعريف رب العالمين ولكن بصورة مختلفة فيقول (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون) فأنت ترى أنـه يؤكـد وحدانية الله تعالى فى مواجهة من يدعي الألوهية، ولم ينـس أن يسخر منه بقوله: (إن كنتم تعقلون)، وفى هذه النقطة من الحوار أكثر من فائدة للواعظ أو الخطيب فكثيراً ما تضطر الإنسان الظـروف إلى التحدث إلى أُناسٍ لا يرغبون فى الحديث ويحاولون قطـع الحديث والاعتراض على المتحدث بصور شتى، ولكن يجب علـى المـتحدث أن يسـتمر فى عرض قضيته بثبات وصبر ولا يـنجرف وراء السـامعين ويـتحول إلى قضايا جانبية مثلما حاول

فرعون أن يشتت سيدنا موسى عليه السلام ويفسد عليه تركيزه وثباته فى عرض قضيته.

وبعد أن يصل سيدنا موسى عليه السلام بالحوار إلى هذه النقطة الحرجة، يشعر فرعون أن لو ترك الحوار إلى نهايته فإنه سينهزم لا محالة أمام قوة الحجة وبلاغة العرض، ودقة الحوار، لذلك ترى فرعون يلجأ إلى العنف لإسكات صوت الإيمان: المنبعث من نبي الله تعالى عليه السلام فيقول مهدداً (قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين)، ترى ماذا يفعل سيدنا موسى أمام هذا التهديد بالسجن المؤبد، وبعد أن وصل الحوار إلى هذه الدرجة من العنف هل يفقد ثباته فى مواجهة هذا الموقف الجديد؟ إنه لا يفقد ثباته أبداً لأنه اكتسب الثبات من التحمل والثقة من الأداء فهو يتجاهل التهديد ويقول له: (قال أولو جئتك بشئ مبين)؛ وهو بهذا السؤال البسيط فى ظاهرة قد ضيع الفرصة على فرعون – فرصة الانتقام وقتل هذه الرسالة – واستدرجه إلى طريق آخر بأن عرض عليه أن يأتيه بشئ مبين؛ ولم يكن أمام فرعون إلا أن يطلب رؤية هذا الشيء المبين، ومن هنا أتيح لنبي الله تعالى موسى عليه السلام؛ أن يستعمل الآيات التى أمره الله تعالى باستعمالها، ولو أنه فقد صبره من البداية – كما خطط فرعون لذلك – لأصبحت هذه النتيجة حلماً بعيد المنال؛ أما وقد صبر فقد أتيح الآن أن يظهر

الآيــات البيــنات: (فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين ونزع يده فإذا هــى بيضــاء للناظرين)، ومن هنا دخل إلى حلبة الصراع نفر من الســحرة انتهى بهم الأمر إلى الإيمان ومن هنا بدأت دولة الفراعين تدول ويتجاوزها التاريخ الإنسانى، ولكن ما يهمنا هو التركيز على ثـبات نبى الله تعالى موسى عليه السلام، وعلى إدارته لدقة الحوار والخروج من كل مكان كان يحاول فرعون أن يدخله فيه حتى نجح فى مهمته نجاحاً عظيماً.

ولــو حاولــنا اســتعراض أداء الرسل والأنبياء في القرآن الكريم لوجدناهم جميعاً على هذا المستوى ولكننا لو فعلنا ذلك لخرج هذا البحث عن طبيعته ونهجه.

ثانياً: قيام مثال الخير فى نفس الخطيب:

الخطـباء والدعــاة والمصلحون والمتحدثون جميعاً يدعون الــناس إلى الخير، والمتحدث فى كل حالاته يستفيد من دعوة الخير الــتى يوجهها للناس عامة، والمتحدث فى الإسلام يستضىء بنوره وتتغلغل مبادئُ الخير إلى دخيلة نفسه، ويحصل بذلك على أسمى ما فــى الوجــود وهو انطباع روحانيات الشريعة الإسلامية فى نفسه، وهــذه الــثمرة يحصل عليها كل ذى مميز ولذلك وبخ الله سبحانه وتعــالى من يأمر الناس بالبر وينسى نفسه بأنه لا يعقل لأنه يضع

نفســه فى خطر عظيم، ولذلك فأكبر الفوائد النفسية التى تعود على الخطيب أو المتحدث هى تخلقه بما يدعو له.

وسوف نتناول الآية التى تركز على هذا الأمر فى كتاب الله تعالى بالتفسير، ومن خلال التفسير وآراء العلماء تتضح الفوائد العظيمة لقيام مثال الخير فى نفس الخطيب قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾.[1]

روى الإمام ابن كثير فى تفسير هذه الآية:

نقل الإمام ابن كثير فى تفسير هذه الآية ما يلي:

(يقــول تعــالى: كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب، وأنتم تأمــرون الــناس بالــبر، وهــو جماع الخير أن تنسوا أنفسكم فلا تأتمــرون بمــا تأمــرون الــناس به، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب، وتعلمــون ما فيه على مَنْ قصرَ فى أوامر الله؟ أفلا تعقلون، ما أنتم صانعون بأنفسكم، فتنتبهوا من رقدتكم وتتبصروا من عمايتكم – بعد أن يذكر هذا التفسير الإجمالى للآية ينقل آراءَ العلماء كالتالى:

عــن قــتادة: كــان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر ويخالفون، فعيرهم اللهُ عزَّ وجلً.

---

[1] سورة البقرة ص٤٤.

وقال ابن جريج: أهل الكتب والمنافقين كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة، ويدعون - يتركون - العمل بما يأمرون به الناس فعيرهم الله بذلك، فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة.

وعن ابن عباس: أتأمرون الناس بالدخول فى دين محمد ﷺ ، وغير ذلك مما أمرتم به من إقامة الصلاة وتنسون أنفسكم.

وقال أبو الدرداء: رضى الله تعالى عنه لا يفقه الرجل كل الفقه حتي يمقت الناس فى ذات الله تعالى. ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتاً.

ويقول ابن كثير ... والغرض أن الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع ونبههم علي خطئهم فى حق أنفسهم حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له، بل على تركهم له، فإن الأمر بالمعروف معروف وواجب على العَالِمْ، فإن الأولى بالعالم أن يفعله مع مَنْ أمرهم به، ولا يتخلف عنهم كما قال شعيبُ عليه السلام: (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)، فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب، ولا يسقط أحدهما بترك الآخر، على أصح قولىٌ العلماء من السلف والخلف.

وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعاصى لا ينهى غيره عنها، وهذا ضعيف، وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية، فإنه لا حجة لهم فيها.

الحديث:

ثم ذكر ابن كثير بعض الأحاديث منها عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ (مثل العالم الذى يعلم الناس الخير ولا يعمل به كمثل السراج يضئ للناس ويحرق نفسه) هذا حديث غريب من هذا الوجه.

روى **الإمام أحمد عن أنس بن مالك قال:** قال رسول الله ﷺ مررت ليلة أسرى بي على قوم تقرض شفاهم بمقاريض من نار، قال من هؤلاء؟ قال خطباء أمتك من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون".

عن أسامة أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يُجَاءُ بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها فى النار كما يدور الحمار برحاه فيطوف به أهل النار، فيقولون يا فلان ما أصابك ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه" رواه البخاري ومسلم.

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ "إن الله يعافى الأميين يوم القيامة ما لا يعافى العلماء" وقد ورد فى بعض الآثار "أنه يغفر للجاهل سبعين مرة حتى يغفر للعالم مرة واحدة - ليس من يعلم كمن لا يعلم".

عن الوليد بن عقبة عن النبي ﷺ : "أن أُناساً من أهل الجنة يطلعون على أناس من أهل النار فيقولون بما دخلتم النار؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمناه منكم، فيقولون إنا كنا نقول ولا نفعل".

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : "مَنْ دعا النَاسَ إلى قولٍ أو عملٍ ولم يعملْ هو به لم يزلْ فى سخط الله حتى يكف أو يعمل ما قال أو دعا إليه" إسناده فيه ضعيف.[١]

وبهذا نكون قد انتهينا من رأى العلامة ابن كثير.

الإمام القرطبي:

يقترب رأىُ الإمام القرطبى من رأى الإمام ابن كثير فى مجملة غير أنه ينفرد بعض الشعر الذى يشرح القضية ويحسن أن نقتبسه منه كما يلى:

---

[١] تفسير ابن كثير جــ١ ص٨٦.

عن منصور الفقيه

إن قوما يأمرونا

بالذى لا يفعلونا

لمجانين وإن هم

لم يكونوا يصرعونا

وقال أبو العتاهية:

وصفت التقى حتى كأنك ذو تقى

وريح الخطايا من ثيابك تسطع

وقال أبو الأسود الدؤلى:

لا تنهِ على خلق وتأتى مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

وأبدأ بنفسك فانْهِهَا عن غيها

فإن انتهت عنه فأنت حيكم

فهناك يقبل ما وعظت ويقتدى

بالقول منك وينفع التعليم.

وقال أبو عمر بن مطر:

طبيبٌ يداوى والطبيبْ مريضُ

وقال مسلم بن عمر:

ما أقبح التزهيد من واعظ

يُزهِدُ الناس ولا يَزْهَدُ

لو كان فى تزهيده صادقاً

أضحى وأمسى بيته المسجد

إن رفض الدنيا فما باله

يستمنح الناس ويسترفد

والرزق مقسوم على مَنْ ترى

يناله الأبيض والأسود

وقال أبو خراشى:

نجا سالم والنفس منه بشدقة

ولم ينج إلا جفن سيف ومئزا

وقال آخر:

تسيل على حد النفوس سيوفنا

وليست على غير الظبات تسيل

وبعد نقل هذه الأبيات يعلق القرطبى على قوله تعالى

"وأنتم تتلون الكتاب" بقوله توبيخ عظيم لَمنْ فهم.

وفي قوله تعالى: "أفلا تعقلون" أى أفلا تمنعون أنفسكم من موافقة هذه الحال المردية لكم".[1]

بعد أن أخذنا رأى العالمين الجليلين الإمام ابن كثير والإمام القرطبى نعقبهما برأى لمفسر عاش فى عصرنا الحاضر وعايش مشاكل المسلمين الراهنة.

رأى الأستاذ/ سيد قطب: يقول فى تفسير قوله تعالى: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)، ومع أن هذا النص القرآنى كان يواجه ابتداء حالة واقعة من بنى إسرائيل فإنه فى إيحابه للنفس البشرية، ولرجال الدين بصفة خاصة، دائم لا يخص قوماً دون قوم، ولا يعنى جيلاً دون جيل.

إن آفة رجال الدين حين يصبح الدين حرفة وصناعة لا عقيدة حارة دافعة أنهم يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم، يأمرون بالخير ولا يفعلونه، ويدعون إلى البر ويهملونه. ويحرفون الكلمَ عن مواضعه ويُؤولون النصوصَ القاطعة خدمة للغرض والهوى، ويجدون فتاوى – وتأويلات قد تتفق فى ظاهرها مع ظاهر النصوص، ولكنها تختلف فى حقيقتها عن حقيقة الدين تبرير

---

(١) الإمام القرطبي لأحكام القرآن جـ١ ص٣٧٠، ط دار الشام – بيروت.

أغراض وأهواء لمن يملكون المال، أو السلطان، كما يفعل أحبار اليهود.

والدعوة إلى البر والمخالفة عنه فى سلوك الداعين إليه هى الآفة التى تصيب النفوس بالشك لا فى الدعاة وحدهم ولكن فى الدعوات ذاتها وهى التى تبدل قلوب الناس وأفكارهم، لأنهم يسمعون قولاً جميلاً ويشهدون فعلاً قبيحاً فتتملكهم الحيرة بين القول والفعل. وتخبو فى أرواحهم الشعلة التى توقدها العقيدة، وينطفئ فى قلوبهم النور الذى يشعه الإيمان، ولا يعودون يثقون فى الدين بعدما فقدوا ثقتهم برجال الدين.

إن الكلمة لتنبعث ميتة وتصل هامدة، مهما تكن طنانة رنانة متحمسة إذا هى لم تنبعث من قلب يؤمن بها، ولن يؤمن إنسان بما يقول حقاً إلا أن يستحيل هو ترجمة حية لما يقول، وتجسيداً واقعياً لما نطق. عندئذ يؤمن الناس ويثق الناس ولو لم يكن فى تلك الكلمة طنين ولا بريق إنها حينئذ تستمد قوتها من واقعها لا من رنينها وتستمد جمالها من صدقها لا من بريقها. إنها تستحيل يومئذ دفعة حياة لأنها منبثقة من حياة.

والمطابقة بين القول والفعل وبين العقيدة والسلوك ليست مع هذا أمراً هيناً، ولا طريقاً معبداً، إنها فى حاجة إلى رياضة وجهد ومحاولة وإلى صلة بالله تعالى، واستمداداً منه واستعانة بهديه،

فملابسات الحياة وضرورتها كثيراً ما تنأى بالفرد في واقعة عما يعتقده في ضميره، أو عما يدعو إليه غيره. والفرد الفاني ما لم يتصل بالقوة الخالدة ضعيف مهما كانت قوته، لأن قوى الشر والطغيان والإغواء أكبر منه، وقد يغالبها مرة ومرة، ولكن لحظة ضعف تنتابه فيتخاذل ويتهاوى ويخسر ماضيه وحاضره ومستقبله، فأما وهو يركن إلى قوة الأزل والأبد فهو قوى على شهوته وضعفه، قوى على ضروراته واضطراراته، قوى على ذوي القوة الذين يواجهونه.

ومن ثم يوجه القرآن الكريم اليهود الذين كان يواجههم أولاً، ويوجه الناس كلهم ضمناً، إلى الاستعانة بالصبر والاستعانة بالصلاة والاستعانة بالصبر تتكرر كثيراً فهو الزاد الذى لابد لكل مشقة، وأول المشقات مشقة النزول عن القيادة والرياسة والنفع والكسب احتراماً للحق وإيثاراً له، واعترافاً بالحقيقة وخضوعاً لها.(١)

رأينا فيما سبق من آراء المفسرين، كيف تكون حالة الإنسان الذى يأمر بالمعروف ولا يأتمر به، وكيف أنه يخسر كثيراً بذلك السلوك المعيب.

---

(١) الشيخ سيد قطب فى ظلال القرآن جـ١ ص٦٨، ٦٩ ط دار الشروق.

وخلاصة القول فى هذه المسألة أن الحق سبحانه وتعالى يعتب على الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم لأنهم يضيعون على أنفسهم سعادة الدنيا والآخرة.

ويؤخذ أيضاً من الآية أن الأمر الطبيعى فيمن يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر، أن مثال الخير يقوم فى هذا الشخص وتنطبع فيه المبادئ الخيرة التى ينادى بها، وذلك من أجل المكاسب التى يحصل عليها الداعية، أو الخطيب قيام مثال الخير فيه، وتحقق المبادئ والقيم التى يدعو إليها بداخله هو، لأنه إذا كان يؤمن بما يقول ويعتقد أن فيه الخير للناس، فهو أولى بهذا الخير، لأنه إمام الناس وهادى الناس، ومعلم الناس، فهو أولى به منهم، وهذا هو معنى إقامة مثال الخير فى نفس الخطيب.

الفصل الثانى

تخطى الحاجز النفسى

الحاجــز النفسى الذى يمنع الإنسان عن التعبير عما بداخله بصــورة خطابــية، هــذا الحاجز هو الحياء، والحياء يرجع لأمور كثيرة غير أن أهم هذه الأمور: أمران:

الأمــر الأول: وجود الحياء الفطرى عند الإنسان، وهو حياء غرســه الله تعالى فى طبيعة البشر الذكر والأنثى على السواء، إلا أنـــه يــزيد فى الأنثى عنه فى الذكر، وهو فى الأنثى حماية وطهر وعفـــاف.وعن الحياء يقول الرسول ﷺ (الإيمان بضع وسبعون أو بضـــع وستون شعبة، فأفضلها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان).[١]

ويقــول (الحياء والإيمان قرناء جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر).[٢]

وقولــه (الحياء لا يأتى إلا بخير)[٣]. وعند الإمام مسلم (الحياء خير كله) والحياء كما رأيت من قول النبىً ﷺ خير كله، وهو يعمل على نشر كثير من الفضائل فى المجتمع الإسلامىّ، فهو

---

[١] البخاري ومسلم.

[٢] الحاكم وصححه على شرط الشيخين.

عند الرجال عاصم للعقل حاكم للتصرفات، وهو عند النساء حماية ووقاية وعلامة طهر وعفاف.

الحق والحياء:

غير أن الحياء بكل صفاته الحسنة يجب أن لا يصرف المؤمن عن قول الحق، لأن قول الحق من صميم الحياء، ولكنه حياء من الله سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى أرسى هذه القاعدة في قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ﴾ [١]، فبرغم أن الحق سبحانه وتعالى حيى يحب الحيى. إلا أنه بينه في هذه الآية الكريمة أنه لا يستحى أن يضرب مثلاً ما بعوضة أو ما فوقها في الصغر طبعاً، أو الكبر على رأى آخر، وهو سبحانه وتعالى لا يستحى من الحق. وقد كان رسول الله ﷺ من أكثر الناس حياء، وكان أكثر حياء من العذراء في خدرها كما ورد بذلك الأثر، ومع ذلك كان يصدع بما يؤمر، ولم يمنعه حياؤه من تبليغ الرسالة، وأداء الأمانة والوقوف مع الحق إلى آخر مدى، بصرف النظر عن ما يترتب على ذلك من نتائج.

---

[٣] رواه الشيخان.

[١] سورة البقرة ٢٦.

خلق الحياء فى المسلم:

وخلق الحياء فى المسلم غير مانع له أن يقول حقاً أو يطلب علماً أو يأمر بمعروف أو ينهى عن المنكر. (فقد شفع مرة عند رسول الله ﷺ أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ وابن حبه فلم يمنع الحياء رسول الله ﷺ ، أن يقول لأسامة فى غضب "أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة، والله لو سرقت فاطمة "بنت محمد" لقطعت يدها".

ولم يمنع الحياء أم سليم الأنصارية أن تقول يا رسول الله إن الله لا يستحى من الحق. فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت فيقول لها الرسول ﷺ ولم يستح: نعم إذا رأت الماء.

وخطب عمر مرة فعرض لغلاء المهور. فقالت له امرأة أيعطينا الله وتمنعنا يا عمر، ألم يقل الله "وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً" فلم يمنعها الحياء أن تدافع عن حق بنات جنسها من النساء ولم يمنع الحياء عمر أن يقول معتذراً كل الناس أفقه منك يا عمر.

كما خطب مرة المسلمين وعليه ثوبان، فأمر بالسمع والطاعة، فنطق أحد المسلمين قائلاً: فلا سمع ولا طاعة يا عمر عليك ثوبان، وعلينا ثواب واحد، فنادى عمر بأعلى صوته، يا عبد الله بن عمر، فأجابه ولده: لبيك أبتاه، فقال له أنشدك الله أليس أحد

ثوبى هو ثوبك أعطيتنيه؟ قال: بلى والله، فقال الرجل: الآن نسمع ونطيع يا عمر. فانظر كيف لم يمنع الحياء الرجل أن يقول ولا عمر أن يعترف.(١)

في الكلمات السابقة يوضح الباحث من خلال الأمثلة التى قدميا كيف أن الحياء الفطرى لا يمنع الإنسان من قول الحق والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والأمثلة السابقة تغطي كثيراً من زوايا الحياء الفطرى، فها هو رسول الله ﷺ يحمل غاضباً على حبه أسامة من أجل الحق وتنفيذ أمر الله تعالى، والحق أن هذا الموقف لا يجافى الحياء الفطرى كما يرى الباحث، بل ينسجم معه تماماً لأن الذى دفع رسول الله ﷺ إلى هذا الموقف، هو الحياء نفسه ولكنه الحياء من الله تعالى ونأخذ من هذا الموقف، أن الحياء ليس فى ترك الخطابة والموعظة وأداء الأمانة والقيم ولكن الحياء الحق من الله تعالى يكون فى القيام بهذه المهام بحكمة وجرأة، وهكذا ترى أن كل قول لرسول الله ﷺ أو فعل هو كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكليا كل حين بإذن ربيا، ومن هذا التصرف لرسول الله ﷺ تعلمنا درساً مهماً وهو أن الحياء ليس فى ترك البلاغ ولكنه فى القيام به.

---

(١) أبو بكر الجزائري – منهاج المسلم ص١٣٧ ط مؤسسة الوصالة – بيروت.

وبعض النساء يتعللن بالحياء في ترك التفقه في الدين ونقل هذا التفقه إلى غيرهن من النساء المؤمنات، ولكن أم سليم الأنصارية تضرب المثل في علة همة المرأة، وقوة شخصيتها، وهي تسعى للفقه في الدين وعمر بن الخطاب حين يعرض للمغالاة في المهور وذلك لنفع المجتمع، رأت إحدى النساء المستمعات إليه أنه تعدي على حق من حقوق النساء، فلم يمنعها الحياء من مناقشته أمام جمع من الرجال في المسجد الجامع، لأن الحق وحده هو ضالة المؤمن والمؤمنة في الحياة، ولذلك قامت هذه المرأة بواجبها خير قيام، وقالت ما تريد أن تقوله في أسلوب علمي دقيق وفي خطاب واضح عال شجاع لأن ظرف الزمان – خطبة الجمعة – والمكان – المسجد يكشفان لنا أنها قالت ما تريد، وهي في آخر المسجد بعد الرجال، ولكن صوتها قد وصل واضحاً إلى سيدنا عمر بن الخطاب ولكن الحياء الذي يصاحب الحاكم حين يتعرض لمناقشة المحكومين، ومراعاة الفارق بين السائل والمجيب كل ذلك لم يمنع سيدنا عمر من قول: كل الناس أفقه منك يا عمر.

وفي المشهد الثاني حين يقول له الرجل لا سمع ولا طاعة وهذه كفيلة بإرباك أي خطيب يضاف إليها أنه استعار الثوب من ابنه، ولكن الحياء لم يمنعه من بيان وجه الحق في دعوة الرجل ووجه الحق في موقفه أيضاً.

الأمر الثانى: الحياء المكتسب:

اهتم الإسلام من أول الأمر بالأطفال حتى قبل مجيئهم للحياة، واهتم بتربيتهم بعد أن يأتوا للحياة تربية سليمة من الناحية الصحية خالية من العقد النفسية التى تأتى فى العادة من التربية السيئة للطفل، وهدى رسول الله ﷺ هو النور الساطع والبلسم الشافى والإمام الهادى لنا فى هذا المجال، واهتمام النبي ﷺ بتربية الأطفال وبمداعبتهم، وتركهم يعبرون عما يريدون ولو كان ذلك بأن يرتحل كل من الحسن والحسين رسول الله ﷺ وهو فى الصلاة ساجداً، ولا يقوم ﷺ من سجوده حتى ينزلا من على ظهره، وغير ذلك من الأمور الكثيرة التى توضح منهجه ﷺ.

ومع ابتعاد المسلمين عن منابع الإسلام الصافية وهجوم النزعات المادية على حياتهم فقدنا ضمن ما فقدنا نهر الصفاء والحب الذى يغمر حياة الأسرة، ويهيئ للطفل مناخاً سليماً يعيش فيه، وبدأ الوالدانِ يتعاملانِ مع الطفل وكأنه حيوان منزلى واجبهما نحوه تقديم الطعام والشراب والملبس، ولكنهما لا يسمحان له بتكوين شخصيته المستقلة ولا بالتعبير عن رغباته، وكأنهما يوقفان له هذه الرغبات وإليك بعض الأمثلة:

١- إذا تبرز الطفل الصغير أو تبول فى وجود ضيف فإنه يزجر لهذا الفعل وهو بعقله الصغير لا يفهم لماذا يزجر

وهو يتصرف تصرفاً طبيعياً فى هذا السن، وهو لا يعلم أنه يزجر بدافع من نفاق الأسرة مع الضيف الزائر، وعدم فهم الطفل للسبب فى الزجر يؤسس عنده نوعاً من الكبت والحياء المكتسب من التربية الخاطئة.

٢- قد يطلب الطفل الطعام وهو فى الشارع أو فى وجود ضيف، ولكنه يزجر لهذا الطلب.

٣- يخشى الأبوان على الطفل من الاستقلال فلا يكلفانه بعمل ما وحده، وفى الأسر الفقيرة حين يخرج الطفل للعمل لا يصرحان له أن يقبض أجره بل يذهب أحد منهما لأخذ الأجر، هذه المشاكل وغيرها من الأمور التى تدفع الطفل إلى عدم الثقة فى نفسه، وتظهر آثار هذه التربية السيئة عندما يطلب من الطفل فى مرحلة ما من حياته أن يعبر عن نفسه، وأن ينقل فكره للآخرين، وأن يحمل رسالة ما فى الحياة، وهذا ما يجعلنا نفهم لماذا كان القرشيون يرسلون بأبنائهم إلى البادية لتربية إرادتهم واستقلالهم، لأن كثرة الحنو على الطفل تجعله تابعاً لوالديه أبداً، ولغيرها فيما بعد.

تحاول كثير من الدول التى تقدمت فى عصرنا الحاضر أن تربى أبناءها على حرية الفكر وحسن التعبير عن النفس، وتختار

هذه الدول لهذه الغاية مادة الخطابة لتكشف فكر الطفل وتضبط نطقه ونحوه وأداءه، ويقول أحد الذين شاهدوا هذه التجربة فى هذه الدول: (يمكن لمثلى الذين عايشوا المجتمع الأمريكى لعدة سنوات أن يلاحظ افتقاد الحياة العامة فى مصر إلى المهارات التى يمكن للإنسان المتعلم اكتسابها لو أتيحت له، وأولها فرصة دراسة علم الخطابة، ولو وجدت ذلك العلم – أى الخطابة – يتم تدريسه فى مناهج المدارس وكذلك، الجامعات، بحيث عندما تلتقى وسائل الإعلام المواطن الأمريكى سواء كان مسئولاً يدلى بتصريحات، أو مواطناً يعلن عن رأيه فى قضية عامة يأتى الإلقاء – أى الحديث– بطريقة معيارية.

وليست متروكة للعشوائية أو التلقائية، كما يحدث عندنا فى مصر، وأول ما يتعلمه الدارس لهذا العلم، أن يكتسب مهارة التركيز فى حديثه، ويلى ذلك القاعدة المعروفة عن القيام ببروفة وهي أفضل بكثير عن إلقاء الحديث بالاكتفاء بالتحضير فقط، أى بدون بروفة، أذكر لمحبى تجارب السفر، وخصائص الشعوب، أنى كنت فى مكتبة جامعة بوسطن، وقبل امتحانات نهاية العام الدراسى وتعمل المكتبة ٢٤ ساعة فى تلك الفترة، فامتدت سهرتى فى المكتبة حتى الرابعة صباحاً – فإذا بشاب أمريكى كان يجلس بالقرب مني يتحرك من مكانه ويخبرنى عندما لاحظ انتهائى من

الحسابات التى أقوم بها، وأعدت الحاسب الشخصى إلى حقيبتى، ويستسمحنى فى عشر دقائق أكون له مستمعاً فيما قلم به من تحضير لحديث سيلقيه فى الصباح – أى أنه يقوم بعمل بروفة معى، فوافقت وأجبت له طلبه، معجباً بحديثه، ومستمتعاً بالموضوع الذى تحدث فيه، إننى أتمنى أن يهتم من يتصدون للعمل العام بعلم الخطابة، حتى لا تتكرر بعض الأحاديث العامة المثيرة للرثاء من اضطرابها وتخبطها وعدم القدرة على توصيل المعانى من جانب بعض المسئولين، خاصة فى الأحداث الهامة.[1]

توضح هذه الرسالة أن تقدم الدول يتكون من عناصر عديدة، وفى كل المجالات، والحقيقة أن الخطابة لا تعني التحدث بصوت عالٍ فقط، كما يتصورها بعض الناس، بل هى المادة الوحيدة فى العالم التى تنظم فكر الإنسان، ومن حق صاحب الرسالة أن يلقي اللوم على كل المتحدثين من أبناء قومنا، حيث لا تنظيم للفكر، ولا تعقل للمعاني وينطبع هذا السلوك المنظم على حياة الغربيين، والسلوك الغير منظم على حياتنا.

ويوضح صاحب الرسالة مدى الجدية التى يتعامل بها هؤلاء القوم من مادة الخطابة، وكيف يسهر الطالب إلى وقت متأخر من الليل لكي يتيسر له جمع مادته العلمية، ثم يطلب من صاحب

---

[1] جريدة الأهرام فى ١٩٩٠/١٠/٣١ ص٧.

الرسالة أن يستمع إليه لكي يجرب أداءه وتنظيم فكره أمامه قبل أن يذهب إلى كليته.

ويبلغ الألم بالنفس غايته حين يشعر الإنسان بالإهمال الذى تتلقاه هذه المادة في داخل الأزهر الشريف حصن اللغة والدين، فلا أحد يهتم بها، وهي مقصورة إلى وقت قريب – على خريجى أقسام الدعوة فقط فهي مثلاً لا تدرس فى كلية اللغة العربية، إلا باعتبارها نصوصاً أدبية، فانظر إلي هذه المأساة حين لا يتعلم مدرسو اللغة العربية فى المستقبل كيف ينطقون اللغة بأداء جيد وراق، ومن غير الخطابة لن يتذوق الطالب فى هذه الكليات جمال لغته العربية، ولن يكون داعية له تعالى ولا حاملاً لرسالته سبحانه وتعالى.

وفي كلية الشريعة والقانون التى من المفروض أن يعمل خريجوها فى حقل الأداء والفكر المنظم، فهي تخرج القضاة والمحامين، والمدرسين وكل هؤلاء فى حاجة إلى فقه الأداء، وإلى الخطابة لتنظم لهم فكرهن ولكن لا يحدث فى هذه الكليات أن يعد الطالب موضوعاً – ولذلك ترى الخريجىن وهم يتكبدون الصعوبات فى بداية حياتهم العملية فى مختلف المهن التى يعملون بها، ولعل الأزهر الشريف حين لا يقرر مادة الخطابة على كليات مثل الشريعة والقانون واللغة العربية، ثم يعين خريجى هذه الكليات في التدريس أو الدعوة إلى الله تعالى "لعله بذلك يتمثل قول القائل:

ألقاه فى اليم مكتوفاً وقال له: إياك إياك أن تبتل بالماء فهو إنسان يخرج إلى الحياة العملية، غير حاصل على أدنى درجات الاستعداد لهذه الحياة.

الكليات العملية:

وخريجو الكليات العملية أيضاً لا يحصلون على نصيبهم من التدريب على الأداء المتميز، فالمفروض فى خريجى كليات الطب والهندسة والزراعة وغيرهم بجامعة الأزهر أنهم دعاة إلى الله تعالى من خلال مهنتهم التى يمارسونها فى الحياة العامة، فالطبيب طبيب داعية، والمهندس كذلك، وهذا الأمر هو الذى دفع الجامعة الأزهرية إلى فتح أبوابها للتعليم العلمي المتخصص، وبالفعل يقرر على هؤلاء الطلاب بعض المواد الدينية ولكن ليس من بينها مادة الخطابة التي يتعلم من خلالها الأداء الجيد لفكرة الدعوة التى يحملها فى رأسه، وبذلك فهؤلاء العلميون الذين لا يدرسون الأداء يسبق تخرجهم الحكم عليهم بعدم الصلاحية للمهنة التى من أجلها درسوا العلوم العلمانية فى جامعة الأزهر الشريف.

ومن هنا فقد أصبح من المحتم إن أردنا للأزهر الشريف تطوراً أن نقرر مادة الخطابة على كل المراحل وفى مختلف السنوات ومن هنا فقط تكون البداية الصحيحة لدفع رسالة الأزهر الشريف إلى الأمام.

الإبداع

والإبداع فى ذاته هو شكل راق للنشاط الإنسانى، ولقد بدأت تتضح مشكلة الإبداع بعد أن اتجه العلماء إلى قصره على مجالات الاختراع بعد الثورة الصناعية التى تجتاح العالم من النصف الثانى للقرن العشرين وبدأ كثير من العلماء فى الشرق والغرب يطالبون بالتركيز على الإبداع الإنساني بوجه خاص.

وفي الصفحات التالية سوف نتناول الإبداع وأثره على الأداء وأثر الأداء عليه، فعلم الخطابة من العلوم التى تساعد على نمو الإبداع عند الشخص لما فى هذا العلم من حرية لاختيار الألفاظ والمعاني ولما فيه من فاعلية للمؤدى تعطيه الثقة بالنفس، والطموح للعلو، على اعتبار أن الريادة تكسب الرائد ماهيتها وفحواها، لكن يجدر بنا أن ندرس الإبداع أولا والمشاكل التى تعوقه، والأساسيات التى تدفعه للانطلاق على النحو التالى:

١- الدافعية والمزاج والطبع:

يقول الكسندر روشكا: إن الدافعية تسند الجهدين العقلى والجسمى للشخص المبدع، فالأشخاص المبدعون يتميزون بدافعية قوية، وطاقة عالية على المثابرة والعمل، وميل واسع للإطلاع، يظهر فى الرغبة للمعرفة وجمع المعلومات، والميل للإطلاع يكون

بشكل خاص "بستمولوجيا" أى "معرفياً" يعمل كقوة دافعية فى النشاط المعرفي للإنسان، ويعزز عبر النجاح بهذه المعرفة.

٢- أقسام الدافعية:

تنقسم الدافعية عادة إلى دافعية خارجية ثانوية ودافعية داخلية وتملك الدافعية مصدرها فى الحالة الأولى من الظروف الخارجية لعملية الإبداع (الرغبة فى الحصول على لقب، أو على تميز ما، أو على مكانة اجتماعية ... إلخ).

أما الدافعية فى الحالة الثانية، فتنطلق من الداخل، ومن هدف مرسوم يظهر فى الرغبة فى البحث والمعرفة والشعور بالسعادة فى اكتشاف الوقائع وإعطاء الأفكار الجديدة.

إن للدافعية الداخلية دوراً حاسماً فى عملية الإبداع، وهذا لا يعنى أن الدوافع الخارجية ليس لها حضور فى تلك العملية، إنما تعنى أن العامل الأساسي لعملية الإبداع هو الدافعية الداخلية، فإذا ما سيطرت الدافعية الخارجية، فإن الانتباه سيتركز على الاهتمامات الشخصية بدلاً من موضوع المعرفة، وبالتالى ستنخفض فاعلية البحث والتقصي، يمكن كذلك تجنب المشكلات المعقدة والصعبة، والتوجه إلى ما هو سهل ومضمون النتيجة.

٣- المبدع والمجتمع:

ليس المبدع شخصاً منعزلاً، وإنجاز إبداعه ليس من أجل الإنجاز وإنما من أجل فائدة المجتمع، حيث إن النشاط الإبداعي يتضمن عامل الإنجاز الإنسانى للشخص المبدع.

فهو يسعى لإضافة قيم جديدة للميراث الاجتماعى كما يقول روث: ويسعى لدفع التقدم الاجتماعي، بتأمين متطلبات القوى الاجتماعية الصاعدة عبر ما يقدمه من إنتاج إبداعى.

إن الدافعية الداخلية إضافة للدافعية الخارجية يجب أن تجد مكاناً فى المجتمع، حيث إن المحرض القوى لعملية الإبداع ينطلق من الحاجات الاجتماعية متطابقة مع الحاجات الشخصية[١]، ويركز المؤلف فى السطور السابقة على الدافعية للإبداع ويعطي لها ميزة كبيرة فى تنمية الإبداع عند الشخص المبدع والدافعية تنقسم عنده إلى قسمين كما يلي:

القسم الأول: الدافعية الخارجية:

وهي التى تكون الحافز الخارجي للإبداع، مثل رغبة الشخص فى الحصول على منصب ما، ومما لا شك فيه أن رغبة الشخص فى تبوء مكان رفيع فى المجتمع تدفعه إلى الإبداع، وفى

---

[١] الكسندر روشكا : الإبداع العام والخاص ص٧١-٧٢ ط الكويت.

حالتنا هذه بالنسبة للخطابة فإن طالب الأزهر الشريف كأى طالب آخر يتمنى أن يتبوأ مكاناً مرموقاً فى المجتمع، ولكن كيف يتسنى له ذلك من غير إتقانه للغته نطقاً وكتابة، ومن غير أن يحمل رسالة الأزهر الشريف، رسالة الدعوة إلى الله تعالى، إذن هو يتمنى كغيره المكان الرفيع ولكن هذا لا يتيسر له إلا بحمل الرسالة وأداء الأمانة فالمثير الخارجي أو الدافع الخارجى موجود، ولكن يقف عجزه عن التعبير عن نفسه عقبة أمام هذا الدفع الخارجى.

القسم الثانى: الدافعية الداخلية:

وهى الرغبة فى التفوق التى تتفجر فى أعماق الإنسان مجردة عن العوامل الخارجية، فالإنسان فى هذه الحالة لا يبدع من أجل المنصب، والمكانة الرفيعة فى المجتمع بل يبدع من أجل الإجادة والإبداع، وهذا يشبه فى مفهومنا الإسلامي أن يقوم الإنسان بالعمل على أكمل وجه وذلك رغبة منا في رضا الله سبحانه وتعالى، وعلى هذا فالطالب الذى يقبل على علومه إقبال المتقن المجد يشعر بالرضا لأنه جعل لحياته قيمة وذلك بوصلها بهدف أسمى من الحياة نفسها ألا وهو رضا المولى سبحانه وتعالى.

وطريق طلاب العلوم النظرية فى الأزهر الشريف يمر عادة بالخطابة وذلك فالذى لا يدرس الخطابة ولا يتدرب عليها يموت

الإبداع بداخله لأن العلم الديني تحمل "دراسة" "وأداء" "بلاغ" والذى لا يتدرب على أداء البلاغ لا يمكن أن يبدع فيه.

ويقول الكسندر روشكا عن صفات المبدع: "هناك صفة أخرى للشخصية المبدعة وهى اتجاه الفرد نحو العمل".

وترى "آن رو" الرائدة فى البحث العلمى للمبدعين والعلماء أن الصفة الأكثر عمومية لهؤلاء هى العمل الجاد، وترى أن الإبداع لدى هؤلاء لا يأتي من الإلهام الفجائي لعقل صلب أو خامل إنما يأتي من العمل النشيط لشخص مرن وذى فاعلية عالية وتضيف "آن رو" أن العلماء والميدعين ينضجون مع تجربتهم الكاملة فى الحياة ومع جملة خصائصهم الشخصية بعلاقة وثيقة بعملهم، ومن الخصائص الأخرى التى تميز المبدعين الرغبة فى اقتحام المجهول والغامض والاستقلالية فى التفكير والممارسة، والاستبطان الداخلي، وعدم الامتثال للأعراف والقواعد الجامدة والرديكالية وخصائص أخرى، وينبغي ألا يفهم من الرغبة فى اقتحام المجهول أو الغامض الميل إلى عدم الانتظام والوضوح وإنما يعني تحريض التفكير المبدع من أجل الخوض فى المسائل الصعبة والغامضة، وتنظيم وتوضيح ما هو غامض فيها[١]، ومن هنا يتضح أن الإبداع لا يأتي من فراغ بل يحتاج إلى جهد متصل وعمل دائم ودؤوب.

---

[١] الإبداع ص٧٢.

وإذا كانت الخطابة، أو فن الأداء نوعاً من الإبداع لأنها تقوم على عرض قضايا عادية بطرق غير عادية، بمعنى أن المتحدث يبدع أسلوبه ويختار طريقته فى نقل أفكاره إلى الآخرين، ولكن لا يجوز للمبدع أن ينتظر الإلهام لكي يتحدث ولا تكفيه الأفكار التى أبدعها فى صياغة الموضوع صياغة نظرية، بل لابد له من العمل المتصل فى التدريب على إخراج هذه الأفكار ونقلها بأسلوب مبهر ومرغب للآخرين.

إن قيام المبدع فى حالة الخطابة باختيار الموضوع وتحديد عناصره، وجمع معلوماته وتنظيمها لا يعدو أن يكون خطوة أولى فى هذا المضمار، وإنما الخطوة الثانية والمهمة تتجلى فى التدريب على كيفية نقل ذلك للآخرين، ومن هذا تأتي أهمية التجربة الحية أو "البروفة" لإخراج الموضوع.

وكَمْ مِنْ أُناسٍ يعرفون الشئَ الكثيرَ عن علم الخطابة غير أنهم لا يخطبون وإذا أرادوا لا يستطيعون، وإذا استطاعوا لا يجيدون، لأنهم لم يعملوا بجد لإخراج إبداعهم ولم يسيروا بخطى صحيحة نحو فن وكيفية الأداء، ولذلك أرانى متفقاً تماماً مع المؤلف والباحثة "أن رو" فى حتمية العمل الجاد للمبدع، وفى اعتبار ذلك من صفاته الخاصة.

المناخ:

ومن العقبات التى تعترض طريق الإبداع المناخ العام أو المحيط الخارجى، أو البيئة التى يعيش فيها المبدع، فهي حتماً تؤثر عليه سلباً وإيجاباً، وعن ذلك يقول الكسندر روشكا: (يمكن أن تظهر فى سياق نمو الطفل والشاب جملة من العوامل المحيطة التى تنمي وتحرض أو تحبط وتعيق تطور الخصائص الإبداعية للشخصية).

لقد أظهر كثير من الدراسات التى وقفت على تأثير الأسرة أن الأسلوب التربوى المعتدل للآباء تجاه أبنائهم بما يحتويه من التشجيع على الاستقلالية العقلية، وخلق الظروف المناسبة فى تطور الاهتمامات والاستعدادات فى مجالات النشاط المختلفة يمكن أن تسهم فى تطور الشخصية المبدعة.

ويمكن أن نعدد جملة من الظروف التى تدفع أو تنمي تطور السلوك الإبداعى للشخصية فى إطار كل من الأسرة أو المدرسة مثل عدم الإكراه وإبعاد العوامل التى تقود إلى الصراع، وتشجيع الاتصال، والمخاطرة ولختيار الصعب فى الحدود المقبولة.

وهناك فى المدرسة حالات ومواقف خاصة تقود إلى تطوير روح البحث والتفكير الإنتاجى المنطلق، والمواقف المبدعة، وهذه المواقف يمكن- أن تكون تشجيع التلاميذ على طرح الأسئلة

وتحريضهم على النشاط الفعال فى إيجاد الأفكار الحسنة، وحثهم على المناقشة والنقد البناء.

وتوجد فى التعليم الجامعي والعالي أيضاً مجموعة من العوامل التى تيسر أو تعيق الإبداع، فضمن بحث تم تطبيقه على مجموعة من العلماء المعروفين، تبين من خلال السؤال المطروح عليهم فى الاستبانة حول العوامل الميسرة، والمعيقة بالقدرات الإبداعية أثناء الدراسة، أن الإجابة على الاستقلالية، وأن الأستاذ كان يعطي شكلاً أو مشكلة ما موحياً بأنه منتظر نتائج جديدة من الطلاب، إضافة إلى ذلك حماسه وقبوله لطالب على أنه مساو له، ومن العوامل المعيقة المرتبطة بخصائص الأستاذ فقد ذكر أفراد العينة عدم تشجيعه لأفكار الطالب، وفوضويته، وصلابته، واهتماماته الضيقة التى تتوقف على الاختصاص الدقيق فحسب.

إن الأساتذة "الميسرين" هم أولئك الذين يقودون النشاط باستمرار إلى إثارة المشكلات حتى خارج قاعات الدراسة، وعندما لا يتفق الأستاذ مع الطالب، فهؤلاء مدعوون لإثارة هذه المشكلة أثناء الدروس من أجل مناقشتها والاتفاق عليها، وفى خارج الصف غالباً ما يكون هؤلاء الأساتذة مستعدين لإجابة الطالب عن سؤال ما ويشجعون ذلك، خصوصاً ما يتعلق بالمشكلات التى تثيرها المادة الدراسية، ويشجعون الطالب على المناقشة داخل

غرفة الدراسة، وعندما لا يعرفون إجابة عن مشكلة ما لا يحرجون إنهم يتابعون باستمرار مدى فهم الطلاب للأساسيات العامة وكل هذا يحرض الطلاب على الدراسة والبحث بشكل مستقل، فقد كان الطلاب دوماً يظهرون اندماجهم فى الاختصاص وفى الدراسة مبرهنين باستمرار على الأصالة والإبداع.

ومن العوامل المساعدة على تفتح القدرات الإبداعية أيضاً، جملة النشاطات المدرسية والجامعية مثل حلقات البحث التى يسود فيها جو الانعتاق من القيود، حيث يندفع الطالب إليها بدافع داخلي فعال، الأمر الذى يتطلبه تكوين الشخصية المبدعة.

ومن المجالات الواسعة لتطوير وتأكيد الاستعدادات والمواهب والقدرات فى كافة الأعمال، وفى كافة المهن، هى المهرجانات الوطنية والمعارض الجماعية، ففيها يتم عرض النتاجات العلمية، والأدبية، التى تسهم فى تطوير الشخصية بكل أبعادها، وتكشف عن المواهب الحقيقية.[١]

يوضح المؤلف فى الفقرات السابقة أهمية دور التعليم فى تنمية وأهمية الحرية التى تعطي للطالب لكي يكون مبدعاً، ولعل طريقة التلقين التى يسير عليها كثير من المحافل العلمية فى بلاد

---

[١] الإبداع ص٨٥، ٨٦.

المسلمين لها دخل كبير فى ضمور الملكة الإبداعية عند كثير من طلاب العلم في هذه البلاد.

وليس هذا الأمر مبرراً بوجود كثير من العلماء والدعاة المبدعين فى بلاد الإسلام، لأن هؤلاء يخضعون لما يطلق عليه "التجربة الخاصة"، ولا ندري على وجه التحديد ما هو المناخ الذى عاش هؤلاء المبدعون فى ساحته، ولا القدر الذى أعطى لهم من الحرية لتكوين إبداعهم وإخراجه فى صورته النهائية، وهذه فى النهاية حالات فردية لا يقاس عليها.

وتظل عملية الإبداع قائمة على صرح التلقين الموروث.

تأثير الجماعة على الإبداع:

في كثير من الأحيان يكون تأثير الجماعة على إبداع الفرد تأثيراً سلبياً خافضاً لقوة الدفع عند الفرد، وعلى هذا فأنشطة الجماعة السلبية تعد قيداً على إبداع الفرد، ويقول الكسندر روشكا: (إن الإنسان بمجرد انتسابه إلى جمع من الجموع يهبط إذاً عدة درجات على سلم الحضارة فلعله كان وهو منعزل فرداً مثقفاً أما فى وسط الجمع فهو بربرى وبالتالى همجى)[1]، وحين تسرى روح التكاسل واللامبالاة وإهمال التفكير المستقبلى، فلا يسع الفرد عندها، وبين هذا الجمع المتخاذل، إلا أن يكون منهم، ومن هنا تتعطل

---

(١) الإبداع ص١٢٥.

قدراته الإبداعية، ودوافعه الإنتاجية، ويموت الإبداع بداخله، وهذا ما جعل الكسندر روشكا يجعل الجماعة المتجانسة قيداً على إبداع الفرد، ويتضح هذا أكثر عند دراسة مادة الخطابة.

أولاً: الأداء المتميز، فهذه المادة وإن كان هدفها هو الكشف عن الإبداع عند الفرد وتنمية قدراته الإبداعية، إلا أن الواقع يثبت بعض الصعوبات التى تلقيها الجماعة على كاهل الفرد لضعف اقتناعها العام بجدوى تنمية الإبداع، وإيمانها كإيمان أسلافها بتوقف الإبداع على الموهبة وهذه الروح حين تسري بين الجماعة، فإنه يصبح من الصعب بمكان على الفرد أن يتخلص من هذه الروح المتخاذلة.

تربية الإبداع:

تحاول كثير من الدول المتقدمة والتى تمسك بزمام العلم والمعرفة أن تربي الإبداع فى أبنائها ولا يعتمدون فى هذا المجال على الموهبة التى يطلب منا فى الدول الأقل تقدماً القيام بكل شئ.

ويقول الكسندر روشكا: (إذا كان الاهتمام منصباً بوجه عام - خلال العقود الثالث والرابع والخامس من هذا القرن - فى البحوث النصية للإبداع على تميز وكشف القدرات الإبداعية بناء على اختبارات الذكاء والمستوى العقلي لكونه نتاج التأثير الوراثي، فقد تغير هذا الاهتمام فى العقود الأخيرة إلى دراسة طرائق تكوين

وتنمية وتربية "القدرات المبدعة، وهكذا تشير "آنستارى" إلى أن المؤشرات تشير فى الوقت الحالي إلى تزايد الاهتمام باتجاه تكوين العبقري، أكثر من اتجاهها نحو تميزه وكشفه، وقد كتب تيلور أيضاً أن التغيير فى العوامل البنائية للبرامج التربوية، وشروط المحيط يمكن أن يحرض النشاط الإبداعي، وأن يترك مشكلة تمييز الفرد المبدع، وحتى وقت قريب كان يعتقد أن الشخص ممكن أن يكون مبدعاً أو غير مبدع، وبهذه النظرية لا نضيف شيئاً. أما الآن فقد أكد البحث العلمي على أن الاستعدادات المبدعة يمكن أن يتم تكوينها وتطويرها.

إن التأكيد على الدور الأساسي للتربية لا يعني نفي المؤثرات الوراثية.

إن الاستعدادات تقوم أيضاً على عوامل فردية ولكن نعتقد بخطأ الرأى الذى يرى أن لكل استعداد موروثة فطرية. وبرنامجاً وراثياً مسبقاً يختص بهذا النوع من النشاط أو ذاك، ونجد مثال ذلك فى رأى "كرونتكى" حيث يرى أن الهيئات الفطرية لا تشكل القوة المحركة لنظر الاستعدادات ولكن لها تأثير كبير على هذا التطور، إن المؤثرات الاجتماعية التربوية، خصوصاً مؤثرات العملية التعليمية، تشكل في صيغة نشطة الاستعدادات وتهيئ الظروف لظهور الهيئات الفطرية المحددة ضمن برنامج وراثي، ويختلف

دور هذه الهيئات بحسب طبيعة الاستعداد، فيكون دورها كبيراً فى الاستعدادات الخاصة، ودون أن ننفي آراء "كرونتكى" كلها فإننا نعتبر أن مستوى الإنجاز لا يتحدد فقط بالاستعدادات القائمة على الهيئات الفطرية المورثة، بل أنه نتاج جملة من العوامل المجتمعة والمتقاربة مثل العوامل العقلية، والاستعدادات، والعوامل الدافعية والخصائص المزاجية، والعوامل التربوية الاجتماعية، إن اجتماع مثل هذه الخصائص وتفاعلها يشكل نقطة الأساس فى الإنجازات العالية، ولكن للأسف فإن تقارب مثل هذه العوامل يتم صدفة ونادراً ما يحدث اجتماعها، ولكن بقدر ما يتم التعرف على عوامل الإبداع بصورة أفضل ويتم ضبطها يزداد التواتر الإحصائي لاجتماع هذه العوامل لدى الشخص نفسه، وينبغي على المدرسة أن تكون المكان الذى يتم فيه تطوير المواهب وتحريضها، وأن علاقة المواهب بالتعليم أكثر أهمية من ارتباطها بالنضج بالوسط المحيط، وهذا ما يجعل طرائق التعليم تضطلع بدور جديد يتصف بالدلالة والنموذجية).[١]

في الفقرات السابقة يرى المؤلف حتمية العمل على تربية الإبداع عند الفرد وتدريبه على أن يكون مبدعاً، ويستطيع المحاضر والدارس فى قاعة الدرس التعاون معاً، لتربية وتنمية الإبداع عند

---

[١] الإبداع ص١٩٧، ١٩٨.

الدارس، ومادة الخطابة تضطلع دون غيرها فى الأزهر الشريف بدور متميز، فهي تجعل الفرد يفكر ويختار ويبدع، وهو فى النهاية يبدع أسلوبه فى الحديث وفى الأداء فهو وإن سبق من كثيرين بالنسبة للموضوع وللمعاني والكلمات أحياناً إلا أنه يبقى له فى النهاية أنه يبدع أسلوبه الخاص، ومن هنا تتفجر ينابيع الإبداع فى ذاته، وتسري روح التميز فى كيانه، وشعوره بأنه يقدم شيئاً مختلفاً عن غيره، هذا الشعور يدفعه إلى التجويد والابتكار وبناء شخصيته المستقلة التى يتضح بروزها بعد اتجاه الفرد إلى الإبداع، وخروجه من أسر الجماعة وريادته لهم، وقيادته لحركتهم بعد ذلك، وهذه القيادة تعد من نتائج الإبداع الأولية.

الباب الثانى

المضمون

الفصل الأول: تحليل المضمون.

الفصل الثانى: ذاتية الخطيب.

الفصل الأول

تحليل المضمون

يحتاج الخطيب أو المتحدث إلى الاهتمام بتحليل المضمون، لأن المضمون هو لب الكلام، أو هو الهدف الذى يسعى إليه المتحدث والمضمون هو الجوهر فى التخاطب، والكلام بعد ذلك هو القشور، والغلاف الذى يقصد به ظهور المضمون، أو إخفائه فى بعض الأحيان.

وإذا كانت الخطابة قد اعتمدت فيما مضى على بلاغة الكلام، وفصاحة اللسان، وحسن الهيئة، وعلو الصوت وقوة الحجة، فإن الخطابة فى هذا العصر تحتاج قبل وبعد كل هذه العناصر، إلى تحديد المضمون فقد تطورت الحياة تطوراً عظيماً، ونمى العقل البشري نمواً كبيراً، وأصبح الخطيب فى حاجة إلى تحديد مضمون كلامه، وتحليل المضمون لكلام الآخرين.

ولئن كان علم تحليل المضمون بمفهومه الحديث جديداً على اللغة العربية والذهنية الإسلامية إلا أن لهذا العلم جذوراً عميقة فى لغة العرب وما التفسير للقرآن الكريم إلا تحليل لمضمون كلام الحق سبحانه وتعالى ولكن كثيراً من المفسرين لم يركزوا على هذا

الجانب لإبرازه بل شغلوا أنفسهم بقصد اللغة، وكثرة الروايات، وكان هذا الاتجاه فى الثقافة الإسلامية غالباً فى عصرهم، إلا أنهم أخفوا المضمون فى بعض الأحيان ولم يريدوا إبرازه.

ويحتاج الخطيب إلى تحليل المضمون فى محاولة فيمه للقرآن الكريم والسنة الشريفة وهما زاده الأول والأصل الذى لا يستغنى عنه أبداً، ويحتاج إلى تحليل المضمون فى دراسته للفقه واللغة والأدب وفى زماننا يحتاج الخطيب إلى تحليل المضمون فى فيمه للمقالات والبيانات السياسية، وإلى كل نشاط يدور حوله ويعلن عنه بنوع من الكلام.

وتكمن مشكلة بعض الخطباء فى أنهم لا يحددون هدفاً أو مضموناً لخطبهم، أو يحددون المضمون ولكنه يفر منهم أو يفرون منه فى محاولتهم شرحه وإبرازه، وذلك بكثرة الكلام البعيد عن المضمون والذى يلجئ المستمع إلى التفكير فى مضامين أخرى.

الخطابة فى عصر العلم:

لكي تؤدي الخطابة دورها فى عصر العلم فلابد أن يكون للخطبة مضمون واحد، تدور حوله وتخدمه لكل أجزاء الخطبة.

أما تفرع الخطيب بعيداً عن مضمون خطبته، واللجوء إلى الشعر العنتري، أو الدخيل الإسرائيلي، واستعراض كثير من معلوماته فذلك طمس للمضمون وليس شرحاً له.

لقد كان العرب فى الجاهلية يقيمون للشعر أسواقاً، وكان جل الشعور يدور حول المفاخرة، خالياً من الأهداف العامة والقضايا الأساسية، وجاء الإسلام ليمحو الجاهلية بكل أشكالها، وجاء القرآن الكريم، وكل آية لها مضمون وتعالج قضية أو أكثر، وجاء حديث رسول الله ﷺ محملاً بالمضامين، وتعلم الصحابة والتابعون فى هذه المدرسة القرآنية المحمدية، فجاءت خطبهم هادفة، تدور حول مضمون واضح ولم يعرف المسلمون منهاج الكلام من أجل الكلام أو الكلام من غير مضمون إلا فى عصور الهزائم والانحطاط التى ما زالوا يرزحون فى ظلها وذلها حتى الآن.

وعندما نقف على تحديد فكرة تحليل المضمون سوف يتضح بجلاء سبب آخر من أسباب عدم تأثير الخطباء فى جمهورهم الكبير، لأن الخطيب إذا تكلم من غير مضمون، واستمع إليه الجمهور من غير بحث عن الهدف من كلامه، فإن حاله وحالهم تشبه حديث النائم لقوم نيام أو حديث معاقر الخمر لقوم من السكارى الخلص.

أسباب ضعف المضمون:

لضعف المضمون أسباب كثيرة نتناول بعضها فيما يلي:

١- النفوذ الأجنبى فى بلاد المسلمين:

كلما زاد النفوذ الأجنبى فى بلاد المسلمين، وما يصاحبه فى العادة من مؤامرات ودسائس، يقع معظمها على علماء الدين، لأن الدين الإسلامي دين العزة، والعلو، والرفعة، وهذه القيم الثابتة فى الإسلام، تزعزع وجود الأجنبى فى بلاد الإسلام، ومن هنا يزداد ضغط المستعمر على العلماء، فيلجأ بعضهم فى البداية إلى الرمزية فى الحديث، ولكن الأجيال التى تأتي بعد ذلك لا تفطن إلى هذه الرمزية فى الخطابة ويظنون أن الأمر مجرد كلام، خالياً من المعاني وبذلك يختفي المضمون والتركيز عليه فى كلام الأئمة والعلماء.

٢- الحكام المستبدون:

توالت على العالم الإسلامي منذ سقوط الخلافة الراشدة أنظمة للحكام مستبدة، لا يهمها إلا إذلال الشعوب الإسلامية وسرقة ثرواتهم، وكلما شعروا بشئ من المعارضة ازداد تنكيلهم بشعوبهم، حتى تصمت كل الأصوات، ويبقى عالم الدين، أو الإمام فى حيرة لأن كلمة الحق هى جوهر رسالته على المنبر، وإن تركها ترك

رسالته، ويقف بذلك على مفترق طرق، يلح عليه هذا السؤال: تكون أو لا تكون؟ فمن جهر بالحق دفع حياته ثمناً لجهره، وإن أنكر الحق عز عليه أن ينكر كيانه ويهدم بنيانه. ومن هنا يلجأ إلى الخلط بين الحق الظاهر والحق الخفي، فيتأثر المضمون بينذا التذبذب بين الحقيقة والخيال، وبين الصواب والخطأ، وبين الجوهر والمثال.

٣- ضعف الثقافة:

تضعف الثقافة عند الخطيب من زاويتين: الأول: ترك الاطِّلاع فى مجالات مختلفة، مع ما يصاحب ذلك من كسلٍ وقعود، ويعتمد فى أداء عمله فى الخطابة على كتب وضعت للخطابة فى عصور سابقة لا علاقة لها بالزمن الذى نعيش فيه، وهو هنا – أى الخطيب – لا يفكر فى مضمون يوصله للناس، بل لا نتعدى الحقيقة إن قلنا أنه لا يفكر أصلاً، بل يؤدى عمله بطريقة آلية، حيث لا هدف يرجى، ولا مضمون يتلى.

الثانية: كثرة الاطِّلاع والقراءة فى مجال واحد، أو التبعية الثقافية إلى منهاج واحد، فالسلفى يقرأ ويتبنى وجهة نظر سلفية، وهكذا الصوفى، وغير ذلك من الاتجاهات الثقافية الإسلامية، ومن أشد أنواع الضرر الذى يقع على الخطابة أحُاديةُ الثقافةِ عند

الخطيب، فهو كالذى يبصر ولكنه لا يبصر إلا لوناً واحداً، وكالذى يتذوق الطعام ولكنه لا يستشعر إلا مذاقاً واحداً لكل الأطعمة.

٤- ضعف التدين:

من المسلمات القائمة أن فاقد الشئ لا يعطيه، وكلما خمدت حرارة الإيمان عند الخطيب تأثر بذلك مضمون ما يقدمه للناس وتشعبت نظرته للناس وللأمور وللأفكار، فمهمة الخطيب ليست الكلام - وإن جاز ذلك في عصور التدهور والانحطاط - ولكنها إبلاغ رسالة يؤمن بها، ويتغلغل نورها فى كيانه، ويختلط فيها دمه بإيمانه، فهو إذا تحدث تحدث عن شئ ينفعل به، لا عن شئ ينقله للناس.

فوائد تحليل المضمون:

١- يجتمع وفدان من بلدين بينهما خلافات كثيرة وتستمر الاجتماعات وتنتهي بالبيان التالي: "اتفق الطرفان على استمرار الاتصالات وتبادل الزيارات، وتنمية التعاون بينهما، والعمل على استقرار العالم وسلامته".

في هذا البيان كثير من العبارات العامة، والمعاني التى قد تخدع السامع الذى لا يدقق فى فهم المضمون والحقيقة أن المضمون فى هذا واضح لا يحتاج إلى عناء فى الكشف عنه،

فمضمون الكلام السابق أن الطرفين لم يتفقا على أى شئ فيما تنازعا عليه قبل اللقاء، وأن الخلافات ما زالت مستمرة، وأنهما لو اتفقا على شئ لأعلناه للناس إعلاناً محدداً، وفائدة تحليل مضمون هذه العبارات أو ما خلف، الكلمات وكلها عبارات تدل على تحليل المضمون، والوصول إلى المضمون يجعل الخطيب يقظاً مستشعراً لمدلولات اللغة وأهدافها وبذلك يرتفع مستوى الخطيب وإحساسه بما يجرى حوله، فى بيئتيه الصغيرة وفى علله الكبيرة على السواء.

٢- ويستخدم تحليل المضمون كثيراً فى الصراعات بين الدول، فكل دولة تحاول عن طريق رجال المخابرات فيها تحليل مضمون ما يصدر عن الدولة المعادية لها، وتصل عن طريق ذلك إلى معرفة الاستعدادات المستقبلية لتلك الدولة، وأحياناً تعلن الدولة عن شئ وهي تعلم أن الخصم سيصل إلى مضمون هذا الإعلان، ومن أمثلة ذلك ما فعله الجيش المصري قبل حرب عام ١٩٧٣ حين أعلن فى كل الصحف عن القيام بعمرة لبيت الله الحرام للصف والضباط والجنود وكان مضمون هذا القرار الذى سيفهمه الإسرائيليون، أنه قد حدث استرخاء عسكري للجيش المصري ولن تكون هناك حرب قريبة وكان القائد المصري الذى أصدر هذا الإعلان يقصد ذلك، لأنه يعرف أن خصمه سيحلل

المضمون ويصل إليه، فأعطاه المضمون الذى يخدعه، وكانت الحرب بعدها بأيام فلم يخرج أحد من القوات المسلحة المصرية إلى العمرة إلا بعد أن تم النصر للقوات المسلحة المصرية، وهذا مثال واحد من آلاف الأمثلة التى تحدث بين الجيوش وبين الدول فى صراعاتها المتجددة والمتوقدة دائماً.

٣- وعندما نفصل بين المضمون والغلاف، أو العبارات الموصلة، نستطيع توصيل المضمون بأقل قدر من المشاكل أو المعاناة، فمثلاً لو طلب من الخطيب أن يتكلم فى موضوع ذي حساسية خاصة، كأن طلب منه أن يتكلم عن الخمر بين جمهور من شاربيها، أو أن يتكلم عن الظلم أمام حاكم ظالم، أو أن يتكلم عن السرقة أمام لص محترف ذي سطوة وسلطة فعلى الخطيب فى كل هذه الأحوال أن يختار من العبارة ما يجنبه الصدام المباشر، وأن يحافظ على المضمون لأن المضمون أمانة عند الخطيب، أما العبارات فله أن يتصرف فيها كيف يشاء.

تحديد المضمون:

عبارة المضمون هي العبارة العمدة فى النص، وقد يكون النص كله معبراً عن المضمون من ناحية المعنى، غير أنه فى

بعض النصوص توجد عبارة تشتمل على المضمون أو ينطوي تحتها المضمون، ومن أجل تحديد المضمون فى النص إليك بعض الأمثلة:

أ- إذا سئلت عن زميلك أين هو اليوم.

فتقول الآتي:

١- قام من نومه.	٢- توضأ وصلى.
٣- تناول إفطاره.	٤- ارتدى ملابسه.
٥- استقل سيارته.	٦- ذهب إلى القاهرة.
٧- ؟	٨- ؟.

عبارة المضمون فى هذا النص، أو العبارة العمدة هى ذهب إلى القاهرة، ويمكن الاستغناء عن باقي العبارات من ١ : ٥ وتبقى العبارة رقم ٧ التى لم تذكر لدلالة عبارة المضمون عليها، ولا يكون لذكرها قيمة مضمونية إلا إذا حدث ما يمنع هذا الزميل من الوصول إلى القاهرة، ولذلك تبقى العبارة رقم ٨ عبارة مضمون مؤجل ذكرها رغم أهميتها القصوى فى شرح ما حدث للمسافر.

ينسحب المثال السابق على بعض الخطباء الغوغائيين الذين يكثرون من حشو الكلام فيضيعون مضمون خطبهم، فعلى سبيل المثال لو أراد أحدهم أن يتحدث عن ارتباط النية بالعمل، فإنه

سيأخذ من حديث سيدنا عمر بن الخطاب دليلاً على ذلك، والحديث هو قول رسول الله ﷺ "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه".

فهذا الحديث يدل دلالة مباشرة على مضمون ارتباط النية بالعمل ولكن الخطيب الذى لا يتحرى المضمون، يفسد هذا المعنى عند شرحه للحديث، لأنه يتفرع خلف معان أخرى، فهو سوف يركز على شرح لغويات الحديث شرحاً متقعراً ثم يعطف على الهجرة فيشرحها ابتداء من المعنى اللغوي، ومروراً بالهجرة النبوية الشريفة مضمناً كلامه ذكر الأحداث التاريخية ولسوف يقع المستمع فى حيرة فى بحثه عن مضمون لكلام الخطيب، وهذه الحيرة لا تقل عن حيرة الخطيب نفسه، الذى أضاع مضمونه، وخالف عنوانه.

فالمضمون هو الأساس فى النص، وتأتي العبارات الأخرى خادمة له، ولا يصح أن تستوعب العبارات الخادمة مضمونها، لأنها جاءت لإبرازه، وإظهاره، إلا إذا قصد الإخفاء، فتكون هذه العبارات الخادمة قد أدت دورها المحوري حول المضمون.

إذن فتحديد المضمون يستلزم تحديد الهدف من المضمون إظهاراً كان أو إخفاء، فالخطيب الذى يحدد مضمونه، ويحدد الهدف

من عبارات "الخدمة" أو عبارات "الغلاف" هو ذلك الخطيب الناجح فى أداء رسالته الناجحة فى تحريك الأفئدة بها.

خدمة المضمون:

وهناك عبارات تخدم المضمون ولا تقع فى جوهره إلا أنه يمكن الاستغناء عنها إذا أردنا أن يظهر المضمون بقوة معينة فى التأثير، وبشكل طيب فى الأداء، وعبارات الخدمة هذه تصور المكانية أو الزمانية أو الجو النفسى للحدث، وسوف يتضح كل ذلك من خلال هذا المثال:

إذا أردنا أن نصور مداهمة الأحداث للأفراد أو الأسر لننتقل من هذا التصوير إلى فكرة أن قضاء الله تعالى يحل بغتة بالناس (المضمون التخويف) فإننا نستخدم كثيراً من العبارات التى تصور الظروف السابقة على ملابسات هذا الحدث، وهذه العبارات لا نستطيع الاستغناء عنها أبداً إذا كان المضمون المحدد لدينا هو التخويف كما سبق ويكون المثال هكذا:

١- عاد أحمد من عمله.

٢- خلع ثيابه واستبدلها بأخرى.

٣- جلس بين أسرته فى انتظار الطعام.

٤- سأل أولاده عن يومهم الدراسي.

٥- تناول الطعام معهم فى سعادة بالغة.

٦- جلسوا بعد تناول الطعام يتسامرون.

٧- جاءت إليه زوجته بكوب من الشاي، وضعه أمامه ليبرد قليلاً وتجاذب أطراف الحديث معها.

٨- فجأة تراقصت الجدران واهتز كوب الشأى بعنف انهار البيت، مات أحمد وزوجته وهما يحاولان معرفة ما حدث (لقد وقع زلزال مدمر).

٩- تشردت الأسرة بعد أن مات نصف أفرادها، وفقدت كل ما تملك من حطام الدنيا..

هذه عبارات كثيرة للتعبير عن مضمون واحد ولكننا لا نستطيع أن ننحيها بعيداً عن النص لأن لها دوراً عضوياً فى تفسير الحدث، أو تعليل حدوثه.

العوامل الخارجية: الأبعاد:

يتأثر المضمون بكثير من العوامل الخارجة عن النص وهذه العوامل رغم بعدها عن جوهر النص إلا أن لها تأثيراً بالغاً فيه، وكل عامل من هذه العوامل يعطي بعداً معيناً للدلالة النصية، ومن الأهمية بمكان لكل خطيب أن يتجنب الدوران فى خطبته خلف هذه الأبعاد، وهذه الأبعاد تحتاج إلى تفصيل قليل نورده فيما يلي:

١- البعد الثقافي:

يقف الخطيب صاحب الثقافة الخاصة[1]، ويلقى خطبته، ويبرع فى إلقائها، ولكنه حين ينزل عن المنبر، يكون قد تلاشى كل أثر للمعلومات التى ألقاها على الجمهور، وهذا الفاصل بين الخطيب والجمهور نتج عن اختلاف الثقافة وتتضح هذه الصورة، لو افترضنا وقوف خطيب يحدث المزارعين فى الريف، أو عمال المناجم فى الصحراء عن الفقه الدستوري، وعن العلاقات الدولية من زاويتها القانونية فإن هذا الحديث الضخم سوف يذهب سدى ولن يجد أثراً عند مستمعيه "اللهم إلا أثراً عكسياً يختلف تماماً عن مراد الخطيب ويعاكس رغبته".

٢- البعد المكاني:

لكل بلد ظرف خاص بتكوينها المناخي والثقافي والجغرافي ومراعاة الفروق المكانية مهم عند ضرب المثل، أو نقل خبرة معينة عن طريق الخطيب، فإذا ورد عن الصحابة أنهم كانوا يصلون أحياناً وهم يرتدون أحذيتهم، فيجب على الخطيب قبل نقل هذه الخبرة للجمهور أن يدرس طبيعة المكان وفى هذه الحالة نجد أن طبيعة المكان فى جزيرة العرب صحراوية، ولا يتجنس فيها الحذاء

---

[1] تكون ثقافة أجنبية كالذى يتعلم فى الخارج، أو ثقافة محلية ولكنها عربية على جمهور المستمعين الحاضرين.

لأن الرمال تطهره أولاً بأول، يضاف إلى ذلك ارتفاع درجة الحرارة، التى تحول الشئ النجس من رطب إلى يابس، وبذلك يفقد تأثيره فى غيره.

ولقد جاء الأمر للنساء بأن يدنين من جلابيبهن عند قضاء الحاجة ولم تكن توجد مراحيض فى المدينة وقتها فلا يصبح ذلك موضوعاً حيوياً عند مخاطبة النساء فى ظل المدنية الحديثة التى تجعل فى كل وحدة سكنية مرحاضاً أو أكثر، وتصل هذه الخبرة، خاصة بالبدو الرحل، وبعمال التراحيل أو أى تجمع بشرى فى مكان مكشوف.[١]

وكان من المستطاع والمتيسر فى مدينة رسول الله ﷺ أن يذهب كل الناس إلى المسجد فى كل أوقات الصلاة باستثناء بعض النساء، وبعض الرجال الموجودين خارج المدينة فى أعمال خاصة، وكان ذلك مناسباً من ناحيتين:

الأولى: صغر مساحة المدينة فقد كان المؤذن بصوته العادي يسمع أغلب سكانها.

الثانية: أنه كان من الحيوي لسكان المدينة الصلاة خلف رسول الله ﷺ وتلقي العقيدة وآداب الإسلام منه مباشرة.

---

[١] هـذا إذا فسـرت الآية على هذا النحو، أما إذا فسرت على معنى تغطية الوجه فهذا موضوع آخر، غير الذى نتحدث فيه.

وقد نتج عن هذا الوضع المكاني نسق فى الثقافة الإسلامية عن أهمية الصلاة فى المسجد الجامع، أو المسجد الكبير، وقد اشترط بعض الفقهاء الصلاة فى المسجد القديم وذهب بعضهم إلى عدم انعقاد الجمعة فى القرى الصغيرة فى الريف، وهذا الاختلاف المكاني يضر المسلمين ضرراً بالغاً لأن كثيراً من القرى تعد أكبر من مدينة رسول الله ﷺ من ناحية عدد السكان والمساحة، فإذا كان المضمون هو حض الناس فى الريف على التمسك بصلاة الجمعة، فإن نقل خبرة المدينة المكانية المحدودة يضر بهذا المضمون.

٣- البعد الزماني:

يصعد الخطيب المنبر ويتحدث عن بعض المخالفات التى يرتكبها المسلمون المعاصرون، ثم يجعل خلفية موعظته حياة الأوائل فى الإسلام وهذا فى عمومه شئ طيب، إلا أن الفرق أو البعد الزماني بين الفترتين، يضر بالمضمون المراد تبليغه، فقد كان الأوائل يعيشون فى مجتمعات محدودة، كانت حياتهم بسيطة فى تركيبها، فبعد الفتح الإسلامي الكبير ودخول أموال الغنائم إلى بيت مال المسلمين، أصبح لكل مسلم جُعَل من هذا المال، كان من الطبيعي وقتها أن يقسم رجل من المسلمين أن يحج كل عام، ومن لم يكن له جعل كان يستطيع أن يترك زوجته ترعى بعض الأغنام وتتعيش من أصوافها وألبانها، ويذهب للحج ثم يعود متى أراد،

ليذهب مرة أخرى فى العام القادم فإذا كان المضمون المراد هو حض الناس على أداء فريضة الحج، فلا ينفع فى ذلك الحض نقل تلك الخبرة للحج المتكرر، لأن الحج بعد إقامة الحدود السياسية بين أقطار العالم الإسلامي، وارتفاع تكاليف السفر والإقامة، أصبح شيئاً مكلفاً للغاية، فإذا كان الحج يتكلف الآن خمسة آلاف من الجنيهات المصرية، فيجب على الناس عدم التكاسل والتراخي والحج ولو لمرة واحدة، ويبقى الأغنياء الذين يملكون المال ولكن بعضهم سفيهاً فى إنفاقه، لأنهم يخرجون إلى الحج كل عام، وإلى العمرة أكثر من مرة فى العام، وكانوا يستطيعون بهذه الأموال تطوير مجتمعاتهم التى يعيشون فيها، فالمبلغ الذى ينفق فى كل عام على الحج المتكرر – خمسة آلاف جنيه – يمكن لهذا المبلغ أن يغير حياة أكثر من أسرة من المسلمين، تصور أننا سنعمل بهذا المبلغ خمس عمليات جراحية كبيرة لخمس من المسلمين – ويعودون للمجتمع المسلم – بعد الشفاء – قوة منتجة – "أو نشتري خمس ماكينات للحياكة، لنضع فى كل بيت فقير ماكينة، تعمل عليها امرأة تحافظ بالدخل الجديد على عفتها وتضمن اللقمة لأسرتها.

وتطوير المجتمع المسلم بهذا الشكل الإيجابي، سيعطي الفرصة لأكثر من مسلم للذهاب إلى الحج وأداء الفريضة، أما حث القادرين على الحج المتكرر كما كان يفعل بعض السلف، فإن ذلك

سيتيح الفرصة للقادر، مع حجب المال عن غير القادر، فلا يستطيع أن يحج وربما لا يستطيع أن يعيش حياة إسلامية كريمة، أو قل أى حياة، وعندما تسأل الذاهبين إلى الحج المتكرر كيف لا تنفقون هذا المال فى بلادكم يخبرونك أنهم سمعوا خطيباً لا يراعي بعد الزمان عند نقل خبراته.

٤- البعد اللغوي:

تنقسم اللغة من حيث التأثير على المضمون إلى قسمين:

الأول: إذا كان الخطيب أو المتحدث يستعمل لغة أجنبية لا يتقنها الذين يسمعونه، أو كان يستعمل بعضا منها، فإن ذلك يؤثر على المضمون بالسلب، وفى كثير من الأحيان يطمسه، ولذلك فمن المدهش حقاً، خروج بعض الدعاة - الذين لا يتقنون إلا اللغة العربية - إلى كثير من بلاد العالم الإسلامي بحجة الدعوة إلى الله تعالى وشرح مزايا الإسلام .. كيف فاللغة هى أساس توصيل المضمون إلى المتلقي، فإذا لم تتحدث اللغة ذهب المضمون وأصبح الكلام مفرغاً منه.

ويضاف إلى هذا القسم اختلاف اللهجات كما هو حادث بين البلاد العربية، فحديث المصري للسعودي أو الشامي أو العراقي يكتنفه كثير من الغموض الذى يطمس مضمونه فى كثير من الأحيان ويؤثر اختلاف اللهجات على المضمون حتى فى البلد

الواحد، وهذه ظاهرة واضحة فى مصر بين الشمال والجنوب، فكلمة النقاش أو الحوار الحاد يطلق عليها عراك فى مدينة القاهرة، وقتال فى الصعيد، وضرب فى بعض محافظات الوجه البحري، فإذا أراد الخطيب أن يذكر حادثة تاريخية، حدث فيها قتال بين فئتين فإذا عبر عن ذلك بالقتال وهو فى الصعيد فهم ذلك على أنه نقاش حاد، وأن عبر عنها بالضرب، وهو فى بعض محافظات الدلتا كالمنوفية مثلاً فهم ذلك على أنه نقاش حاد، فالمضمون هنا لا يصل إلى المستمع، بسبب البعد اللغوي الناتج عن اختلاف اللهجات للغة الواحدة.

القسم الثاني: وهو عن اللغة الغير منطوقة والتى تكتسبها الشعوب من الممارسة الحياتية، مثل لغة الإشارات وهي تختلف من مكان لآخر، فالإشارة التى تعني أمراً فى مكان ما قد تعني أمراً آخر فى مكان آخر.

يضاف إلى ذلك إصدار بعض الأصوات التى لا تفهم من زاوية اللغة، ولكنها تفهم من زاوية استعمال الجماعة المحدودة لها، مثل الصفير، فهو يستعمل للرتج على المتحدث الثقيل ويستعمل للابتهاج بالمتحدث أحياناً فى الحفلات المفتوحة مثل الحفلات السياسية، ويستعمل بمعان كثيرة لغير ذلك.

٥- البعد النوعى:

هذا البعد يتعلق بالجانب النفسى للجمهور وهو ينقسم إلى:

أ- جمهور مختلف النوع مختلف المزاج مثل النساء فإنه مختلف عن الرجال نوعاً، ومختلف مزاجاً، لأن المرأة سريعة الانفعال ولذلك أطلق عليهم القوارير لشدة إحساسهن وتأثرهن، فإذا ما أراد المتحدث إلى النساء أن يبرز جانب الترهيب فى حديثه، فعليه أن يوغل فيه برفق، لأنه لو اشتد عليهن، وذكر الصحيح والسقيم فى هذا الباب فإنه سيؤثر على وجدانهن بطريقة لا تسمح لهن باستيعاب الموعظة والوقوف على مضمونها.

ب- جمهور متحد النوع مختلف المزاج، تتنوع الطبيعة النفسية للجماعات بحسب البيئة والظروف الحياتية وعوامل أخرى كثيرة، وقد يكون الجمهور كله من الرجال..

ومع ذلك تختلف الموعظة إليه باختلاف الظروف السابقة فالموعظة لعمال المناجم، غير الموعظة لعمال الزراعة[1] والموعظة للمثقفين غير الموعظة للأميين، وهناك شعوب تعرف بقوة الشكيمة مثل الشعب العراقى، وشعوب أخرى تعرف بخفض

---

[1] المقصود باختلاف الموعظة اختلاف أسلوب عرضها المضمون واحد فى كل الحالات لأن مقاصد الدين الإسلامي لا تتغير.

الجناح مثل الشعب السودانى، وعلى هذا تكون الموعظة متسقة مع هذه الفروق، حتى تكون هادفة ونافعة.

٦- البعد المصدرى:

يقصد بالبعد المصدرى، استخدام المصادر فى الخطابة لإبراز المضمون، وهذه المصادر تبرز المضمون، أو تطمسه أو تغيره، أو تعكسه، وكل ذلك يتم باستخدام المصدر، استخداماً جيداً، ورديئاً، وتنقسم المصادر إلى ما يلى:

١- القرآن الكريم:

القرآن الكريم، هو كتاب المسلمين الأول، بل هو كتاب العالم أجمع لأنه آخر رسالات السماء إلى الأرض، وهو صحيح محكم لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، وقد حاول أعداءُ الإسلامِ النيل من هذا الكتاب العظيم فَرُدّوا على أعقابهم خاسرين.

وعند استخدام المصدر القرآنىّ لإبراز أو تعضيد المضمون فيجب على الخطيب البعد ما استطاع عن المتشابه بقدر المستطاع، وحين يحاول شرح معنى آية أو عدة آيات من القرآن الكريم، فعليه أن يختار المعقول من أقوال المفسرين، ولا تعرض للروايات الباطلة التى يذكرها المفسرون ويبطلونها فى نفس الوقت، وهذا لا يرجع للبحث العلمي كما يظن، ولكنه يرجع لتركيبة الذهنية

العربية، وولعها بجمع الروايات وترديدها والوقوف عِندها، دون أى حركة عملية، وقد تأثر بهذا الاتجاه كثير من المفسرين، فوصفوا فى تفاسيرهم ما يسئ إلى شخصية الهادي الأمين سيدنا رسول الله ﷺ ، وما يؤثر على الرسالة ككل.

ومعظمهم يعتذر عن هذه الروايات، وهم لا يدركون أن الرواية المنفية تلقى بظلال من الشك على الحدث الذى سيقت من أجله، لأن معظم هذه الروايات تنسب إلى رجال من الصحابة الكرام، وهؤلاء لهم على رءوس المسلمين مكان، وفى قلوبهم مكانة، وقد نسبت بعض الروايات إليهم زوراً وبهتاناً، ولكن اقتران الرواية باسم الصحابى يجعل الشك يطوف بذهن المستمع متأرجحاً بين الرفض والقبول.

ومن هنا يجب على الخطيب أن يضرب صفحاً عن هذه الروايات ولديه متسعُ فى الصحيح من سنة رسول الله ﷺ إذا بعد عليه أخذ المعنى من القرآن الكريم مباشرة.

ب- السنة الشريفة:

والسنة الشريفة هى المصدر الثانى للإسلام، وهي تساعد وتعضد وتؤيد وتظهر المضمون بأجلى ما يكون، فهي توضح منهاج النبي ﷺ فى طاعة ربه سبحانه وتعالى، وفى حياته الدنيا، والتأسي به واجب على الأمة، فهو مرشدها إلى طريق الله تعالى

وخلافة فقد كان يبيت فى بعض الليالى قائماً لربه، ومع ذلك خطط ونظم ودفع الحضارة الإنسانية دفعة للأمام ما زال سناها يبهر العقولَ ويدهشُ النفوسَ.

ومع ما للسنة الشريفة من دور حاسم فى إظهار المضمون، فإنه يجب الحذر عند استخدام الأحاديث فى تأييد المضمون لأن الصحيح فى السنة الشريفة يمثل نسبة قليلة بجانب الضعيف والموضوع، ولذلك يجب التمسك بالكتب الصِّحَاح وعدم الخروج عنها.

البخارى ومسلم:

أصح الصحيح كتاب الإمام البخارى يليه كتاب الإمام مسلم، ومع ذلك لم يسلما من النقد العلمى لبعض الأحاديث القليلة فيهما، وقد حدد الشيخ الألبانى وبعض العلماء مواطن الضعف فى بعض الأحاديث فى الصحيحين.

ويرى جمهور المحدثين أن لهذه الكتب ضلاعة فى الصحة وللخروج من هذا الخلاف يجب على الخطيب أن يتجنب الرواية أو الحديث الذى يجد معناه غريباً، ولن يخدم مضمونه فى شئ، وإن اضطر إلى ذكر حديث غريبَ المعنى فيجب عليه تأويله بما يتفق مع المنهاج العام للإسلام، وهذا التأويل أيسر وأحوط من ردِّ الحديث.

وهناك كتب أخرى غير هذين الكتابين فى السنة الشريفة ولها قدر عظيم من الاحترام العلمى ويمكن الاستعانة بالصحيح فيها، ففى هذه الكتب كنز عظيم يجب الانتفاع به.

الحديث الضعيف:

يرى البعض أنه يجب الأخذ بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال ولكنى أحذر كل من يمارس الخطابة الإسلامية وأرجوه أن يبتعد عن الأحاديث الموضوعة والضعيفة لأنها تشوه شكل الإسلام كدين ومنهاج حياة، وفى هذا العصر الذى تضخمت فيه المعلومات العلمية، واتسع نطاق العقل البشري، وأطلع الإنسان على كثير من أسرار الكون والحياة، وأصبح الصراع حاداً بين جميع الأمم من أجل البقاء، يجب ألا نعرض الإسلام على الناس إلا من خلال المصادر الصحيحة، لأنها تحمل فى ذاتيتها خاصية التفوق على الزمان والمكان.

أما الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة، فإنها تحمل ثقافة عصر، ورؤية زمن معين للأحداث، ولا تنفع فى باقي العصور، ولن يجد الخطيب مشكلة فى ترك الموضوع من الأحاديث أو الضعيف، فهناك متسع فى مساحة القرآن الكريم والسنة الشريفة الصحيحة يغني عن استعمال هذه المصادر.

ج- المصادر الأخرى:

والمصادر الأخرى هى كل مصدر للثقافة الإسلامية غير أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة الصحيحة، مثل كتب التاريخ والسير وكتب العظات والترغيب[1] والترهيب، وغير ذلك من المؤلفات.

وهذه الكتب فيها الصحيح والسقيم، ولابد من تناول بعض ما فيها بحذر شديد، إذا أردنا توجيه الناس الوجهة السليمة، التى تنسجم مع الخط العام للدين الإسلامى، وسوف توضح الأمثلة الآتية ما فى هذه الكتب من روايات وأخبار غير صحيحة وضررها أكثر من نفعها.

١- كتب التاريخ والسير:

هذه الكتب شوهت التاريخ الإسلامى، وجعلته تاريخ صراع داخلي بين الأمراء وعامة المسلمين، وبين بعضهم البعض، مع أن الأوائل من المسلمين كانوا مخلصين لدينهم غاية الإخلاص، واستطاعوا أن ينشروه وأن يظهروه ولم يكن لديهم ذلك الوقت المتسع للتمتع بالحياة، كما يصور لنا ذلك كتاب التاريخ والسير.

---

[1] لا يقصد هنا كتاب معين يحمل هذا الاسم بل كل الكتب التى تتناول هذا المجاز من الثقافة الإسلامية.

ومشكلة التاريخ الإسلامى أنه كتب من زاويتين متعارضتين، ومن خصمين لدودين، وكان التاريخ يكتب من خلال المزاج السياسى العام، والتاريخ كله عبارة عن وجهة نظر طائفة فى طائفة أخرى، فقد اتهم هارون الرشيد الخمر والجنس، وأصبح علامة عليها حتى أنه فى بعض الفنادق فى البلاد الإسلامية تجد قاعات اللهو الكبيرة مسماة بقاعات هارون الرشيد، وتطلق على ليالى السكر والعربدة ليالى هارون الرشيد وهو من كل ذلك بُراءُ، وقد سجل له التاريخ الصحيح[١]، أنه كان كثير الصوم، كثير العبادة، كثير البكاء حين يسمع القرآن الكريم، وانتشر الإسلام فى عهده، واتسعت رقعة الدولة الإسلامية، وحدثت حركة الترجمة العظيمة لثقافات العالم الخارجى تمهيداً لفتحه ومعرفة عاداته وتقاليده وعلومه.

ومن يقس التاريخ بمعيار النهضة الحضارية والرخاء فسيجد أن هارون الرشيد ــ رضوان الله تعالى عليه ــ كان من الحكام العظام لفترة من فترات الريادة للدولة الإسلامية.

---

[١] راجــع فى ذلك كتاب العواصم من القواصم للقاضي ابن العربي وكتاب أباطيل يجب أن تمحى عن التاريخ للدكتور إبراهيم شعوط.

٢- كتب المواعظ:

من الكتب التى تشكل حيزاً كبيراً فى الثقافة الإسلامية ولها الأولية المرجعية عند المثقفين وغيرهم، من هذه الكتب كتاب أحياء علوم الدين للإمام الغزالي، وكتاب الكبائر للحافظ الذهبي، وهذان الكتابان قبل أن يحققا كان لهما مدلولهما القهري على كثير من عناصر الثقافة الإسلامية، وبعد أن قام بعض الباحثين بالتحقيق لهذين الكتابين، اتضح أن معظم الأحاديث والحكايات التى جاءت فى هذين الكتابين غير صحيحة وموضوعة، وأحياناً تصادم آيات القرآن الكريم والسنة الشريفة الصحيحة.

وذكر هذين الكتابين لا يفيد الحصر، ولكنه يفيد توضيح ذلك الخلل الكبير الموجود فى الثقافة الإسلامية، ولعلها رغم ما فيها من عطب أكثر صحة من غيرهما، وخطورة هذه الكتب التى كتبت فى العصور السابقة، أن ما فيها يعتبر من محددات السلوك الإسلامي، أنها بحق بنايات ضخمة يطلب للسائحين فى الثقافة الإسلامية الدوران حولها وإظهار الإعجاب بزخرفها، ولكنها بنايات تقوم أكثر جدرانها على غير أساس أو على أساس ضعيف، ويوضح هذا أن الحافظ الذهبي وهو من هو فى علم الحديث، حين أراد التأليف فى المواعظ جاء فى كتابه أكثر من ثمانين فى المائة من الأحاديث والروايات الموضوعة، والضعيفة ومع ذلك فمعظم الكبائر التى

أضافها استناداً على هذه الأحاديث الضعيفة تتخذ تكأة عند البعض لاتهام بعض المسلمين بالكفر وهو من الكفر براء، ولكنه كفره على قاعدة الحافظ الذهبي التى لا تقوم على قاعدة أصلاً.

ومن هنا يجب الحذر فى استعمال التراث كمصدر للخطيب، وإذا كان لابد من ذلك فيجب الاعتماد على الكتب المحققة لأخذ الطيب منها وترك غير الطيب لأنه لا يفيد ولا يدخل فى كتب التراث القرآن الكريم والسنة الشريفة لأنهما كما أسلفنا كتب لا تخضع للزمان ولا يحددها المكان.

الفصل الثانى

ذاتية الخطيب

في هذا البعد نتحدث عن كل ما يتعلق بذاتية الخطيب من الناحيتين الظاهرية والوجدانية، وعن المميزات التى تؤهله للوقوف خطيباً أمام الناس، وسوف نتأكد بعد أن نطالع هذا البعد من أن الخطابة ليست موهبة قاصرة على بعض الناس، فى كثير من الأحيان، وعند كثير من الناس، بل هو شئ فى متناول مقدرة كل الناس، وإن ظلت الفروق الفردية لها دور لا ينكر عند بعض الناس، إنما ما نؤكده أن كل الناس يستطيعون الخطابة إلى حد ما، وهذا الحد يتوقف على الجهد الذى يبذله الشخص ليكون خطيباً، وسوف نركز هنا على بعض للمميزات التى لا غنى عنها للخطيب ومنها:

الثقة بالنفس:

إن كثيراً من الخطباء المشهورين، عندما بدأوا التجربة الأولى أصابهم الحرج والإعياء والتلعثم، وربما التوقف عن الكلام تماماً، ومع ذلك ظلوا يدربون لتزداد ثقتهم بأنفسهم حتى وصلوا للحالة التى عرفوا بها عبر قارات العالم.

ومن الطريف أن أحد الأشخاص الذين تقلدوا كثيراً من المناصب الرفيعة فى المجتمع، وانتهى به المطاف إلى رئاسة مؤسسة عامة، واحتاج إلى التحدث أمام جمع كبير من العاملين معه، ومن الجمهور الخارجي فى بعض الأحيان، وحاول ولكنه اكتشف وكأنه لم يتعلم شيئاً فى هذا العمر الطويل، وذهب يشكو لأحد أصدقائه، وكان عالماً بفن الإلقاء، وقال له أننى أشعر باليأس والقنوط، ولا أمل لي فى أن أكون شيئاً، فهون عليه الأمر، ووضع له خطة للتدريب المكثف وافترقا، وبعد ثلاث سنوات قابلة فى نفس المكان، فأخبره أنه مدعو من قبل رئاسة المدينة لإلقاء كلمة يرحب فيها برئيس الدولة، وأنهم لم يجدوا شخصاً أكثر منه بلاغة وطلاقة فى الحديث للقيام بهذه المهمة، ووجده مسروراً، وظل يحدثه عن الفوائد الكثيرة التى حصل عليها من الخطابة والتأثير فى الناس.

الرغبة القوية:

ومثل الأمور التى لا غنى عنها للمتدرب على الخطابة، أن يبدأ برغبة قوية لأن الأستاذ يستطيع أن يعرف مستقبل طلابه وطالباته فى الخطابة من خلال قياس مستوى رغبتهم فى أن يكونوا شيئاً من خلال الخطابة، وعندما كنت أدرس مادة الخطابة فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات وقمت ببذل جهد كبير مع

الفتيات لتعليمهن فن الإلقاء بصفة عامة حتى يصبحن مدرسات ناجحات، أو متحدثات لبقات.

وفي نهاية العام نظمت الكلية مهرجاناً للخطابة وانتهت من تدريب الفتيات على هذا المهرجان تدريباً جيداً، وقبل الحفل بيومين جاءتني طالبة لم تدرس مادة الخطابة، ولم تتدرب عليها وأخبرتني بعزمها على الاشتراك فى هذا المهرجان، وأخبرتها باستحالة ذلك، لأن كل بنت قد تدربت على خطبتها أكثر من خمسين مرة، بالإضافة إلى التدريب طوال العام، ولكنها أخبرتني أنها تستطيع أن تصل إلى مستوى طيب فى المدة الباقية على الحفل، وأعطيتها موضوعاً وطلبت منها التدريب عليه مائة مرة (بروفة) حتى تصل إلى المستوى المطلوب مع تزويدها بالنصائح اللازمة للخطابة بصفة عامة، وأثناء المهرجان قدمتها رقم عشرين بعد رفيقاتها المشتركات فى المهرجان، إلا أن المفاجأة أنها كانت الأولى على المهرجان بإجماع آراء لجنة التحكيم.

ومن هنا يتضح أن البداية مع رغبة قوية، أفضل بكثير من الرغبة المفتورة أو المفقودة.

تحديد الموضوع:

ويعني هذا التحديد أن يعرف الإنسان كيف يتحدث، وفى أى شئ يتحدث، أما إذا واجه الجمهور وهو لا يعرف الموضوع

الذى سيتحدث فيه فإنه لا شك سيكون كمن يتحدث فى موضوع لا يعرف عنه شيئاً، إلى أناس لا يعرفون عن ذات الموضوع شيئاً.

وإلمام الخطيب بعناصر الموضع، وخلفياته تكسبه ثقة فى النفس وطلاقة فى الحديث، وبلاغة فى اللفظ، وتركيزاً فى الموضوع ويصل بذلك إلى ما يريد من أقرب طريق إلى عقل السامع ووجدانه.

التدريب:

ظلت الخطابة العربية تعالج من الناحية النظرية فقط، دون النظر إلى الجانب العملي، أى إلى التدريب، وليس من المبالغة فى شئ إن قلنا: إن الخطابة الجيدة هى التدريب، التدريب فى البداية والتدريب فى النهاية، وإذا كان لكل شئ قلب، فقلب الخطابة هو التدريب قلبياً وروحياً أيضاً.

إن الإنسان عندما يقف خطيباً للمرأة الأولى فإنه يتعرض لكثير من الضغوط النفسية والعصبية، فهو يصاب بحالة من الإثارة العصبية فتزداد ضربات قلبه عدداً وشدة، ويتفصد عرقاً، وتخور قواه، ويصاب برعشة فى كل جزء من جسده، ويتلعثم بعد جفاف ريقه، ومن الناحية الوجدانية فإنه يكون مشتت الفكر، لا يستطيع أن يمسك بفكرة فى رأسه، ومع هذا يمكن للمبتدئ أن يقلل من هذه الأعراض بالتدريب، فالذى يؤدى خطبته أمام المرآة أكثر من مرة

تزداد ثقته بنفسه بعدد هذه المرات، والذى يواجه جمهوراً محدوداً - أسرته - زملائه - أصدقائه - يكون أكثر ثقة وتركيزاً من المتدرب أمام المرآة، وهكذا، أما مراجعة نصوص خطب السابقين وحفظها من غير تدريب فإنه لا يغني الخطيب شيئاً حين يواجه الجمهور الكبير.

الموقف الواثق:

الموقف الواثق هو ما نسعى جميعاً لبلوغه، فهو ذرة يجب أن يضعها الخطيب أمام عينه، ويقابل الموقف الواثق المهتز، وإذا كان الموقف الواثق يتأتى عن عدة عوامل، مثل التدريب والتحضير .. إلخ إلا أن هناك جانباً هاماً فى تشكيل الموقف الواثق، وهو تلك الفعاليات التى تتنافس فى داخل الشخص بدافع من إرادته القوية، فيجب على الخطيب إذا تصدى للجمهور، سواء كان ذلك برأيه، أو برغمه، يجب عليه أن يقف موقف الواثق وأن لا يبالي إطلاقاً بعدد الجمهور، أو بنوعيته، كأن يشمل بين صفوفه بعض المثقفين الذين تتلمذ الخطيب نفسه على أيدي بعضهم، ويجب أن يتصرف بثقة يأخذها من مكانة نفسه (العلو) وبين مكانته (المعلم) وهذه الفعاليات الوقتية المتنامية تقع فى غاية الأهمية بالنسبة للخطيب أو المتحدث فى أى موضوع إلى جمهور محصور، أو جمهور عام.

الموضوع:

موضوع الخطابة هو المضمون الذى يسعى إليه الخطيب الناجح، أو هو الهدف من القيام بالخطابة فى الوقت والزمن المحددين، وقد سرت فى الأوساط الإسلامية فكرة الإلهام بالنسبة للخطيب، وأنه يستطيع أن يتكلم فى أى موضوع، فى أى وقت، وربما توفرت هذه الطريقة لبعض الأشخاص المدربين على الخطابة من زمن بعيد، أو لبعض الخطباء الذىن يدافعون عن قضايا معينة، لدرجة أنهم يعيشونها، وتستحوذ على كيانهم الفكري، وسلوكهم العملي، إلا أن هذه الطريقة أو تلك، لا يقاس عليها من الناحية العملية فى الخطابة الناجحة.

فلابد للخطيب أن يحدد موضوع خطبته قبل إلقائها بوقت لا يقل عن أسبوع، ويقضي وقته ويفكر فيه، ويثير حوله المناقشات مع أصدقائه، وأهله، ويكون التفكير فى جوانب الموضوع المتعددة، فلو تحدث الخطيب مثلاً: عن الزواج فيجب عليه أن يفكر فى الزواج كمطلب طبيعي للبشر، ثم ما يتبع الزواج من مسئوليات خاصة بتكوين الأسرة وتنشئة الأولاد، ثم يفكر فى الجانب الاجتماعى للزواج، وفى الفوائد التى تعود على المجتمع من الزواج الشرعي العلني، وليس بالضرورة أن يكون الحديث شاملاً

لكل هذه الأشياء، إنما المهم أن يكون ملماً بها، وأن تعيش فى داخله.

ويمكن الربط هنا بين تحديد الموضوع، والتحضير له، وهذه نقطة فى غاية الأهمية بالنسبة للخطيب المبتدئ وهناك نقطة أخرى تشير إلى النجاح، وهي تشبع الخطيب بموضوعه، حتى يحلم به فى نومه، ويتراوح أمامه فى يقظته ويلبس عليه ألوان لباسه، ومذاق طعامه، وعمق منامه، هذه حالة نفسية إن لم تعتري المبتدئ فإنه من يحتاج إلى جهود متضاعفة لتثبيت أقدامه على خشبة المنبر، ومنصة الحديث.

وتبقى زاوية لها أهميتها الخاصة فى تحديد الموضوع، وهي أن ينتقل الخطيب من على المنبر (في خياله) ويجلس بين الجماهير (في الخيال أيضاً)، ويجمع منهم أسئلتهم الخاصة بهذا الموضوع وبأهميته، وبمعنى آخر، يجب على الخطيب أن يجمع بداخله كل الأسئلة المتعلقة بهذا الموضوع الذى حدده، ويضاف إلى ذلك اختيار الموضوعات التى تهم الجمهور المستمع، وترك الموضوعات الشخصية.

فمن الخطباء من يتحدث عن اعوجاج النساء بسبب خلافاته العائلية، أو يتحدث عن التغالي فى المهور، بسبب ظروفه الاقتصادية، التي لا تمكنه من الزواج، فإن لم يكن متزوجاً يتحدث

عن هذه أو تلك، فى الوقت الذى يكون فيه الجمهور مهتماً بمصلحة عامة، للبلدة أو ظرف غير عادي تمر به الأمة الإسلامية، أو ظروف قاسية يمر بها الوطن، فدراسة حاجة الجماهير عند تحديد الموضوع، لها أكبر الأثر فى نجاح الموضوع، وتحقيق الاستجابة وفى حصوله على قدر لا بأس به من الاستمالة، ثم اعتناق هذه الأفكار بعد ذلك، وسوف يطلب من الخطيب دائماً القيام بدور لا ينسجم مع طبيعته البشرية. وهو الحياد بالنسبة لظروفه الخاصة، والتوجه مع المشاعر العامة، فربما كان يمر - هذا الخطيب - بأيام سعيدة طيبة على المستوى الشخصي ولكن هذه الأيام نفسها أيام عصيبة بالنسبة لوطنه، أو لأمته، فسوف يلتزم فى تحديده للموضوع بالمشاعر العامة، وبالقضايا العامة، وهي ليست مهمة بالنسبة لفعاليات الطبيعة البشرية ولكنها ضريبة النجاح - لمن يطلب النجاح فى الدنيا والفلاح فى الآخرة.

التحضير:

يأتي التحضير الجيد بعد تحديد الموضوع ليضاف إلى عناصر نجاح الخطبة، وينقسم التحضير الجيد إلى عدة أقسام:

أ- المادة العلمية:

وهي المادة التى تدخل فى نسيج الخطبة سواء كانت من العلوم الطبيعية كالذرة وغيرها، أو من العلوم الاجتماعية من

التاريخ – الجغرافيا – علم النفس – علم الاجتماع – وهكذا أو من الآداب مثل: أدب اللغات والشعر وغيره، فجمع مادة الخطبة – على مهل – سر من أسرار نجاحها، ومع الجمع يكون التفكير فيما جمع، وكيف يعود بالفائدة على الجمهور؟ ومشكلة بعض الخطباء التسرع فى التحضير، أو اللجوء إلى الأفكار الجاهزة عن الموضوع والأفكار الجاهزة مهما كانت قوتها، هى أفكار ميتة لأنها لآخرين.

يضاف إلى ذلك تلك السمعة الطيبة التى تسبق ذلك المسئول فى أذهان الجماهير، وهذه من مقدمات الخطابة الناجحة، المسئول وقف خطيباً بين الجمهور، وكان قد أعد كل شئ من الموضوع الذى سيتكلم فيه، إلا أنه لم ينسق هذه المعلومات بحيث يعرف ما هى المعلومة التى ستأتي فى أول الكلام، وفى وسطه، وعند نهايته، ولذلك فقد بدأ هذا الخطيب بما يصح أن ينهي به كلامه، ثم عقب عليه بما كان يجب أن يبدأ به، وهكذا ولو استبدلنا كلام هذا الخطيب بمائدة من طعام ، فإن المستمع له يكون قد شرب القهوة قبل الحساء، ويتناول العيش بعد اللحوم، وقدم له الأرز بعد الفاكهة، إن هذه المائدة لا قيمة لها، ولا معنى لها، ولا تدل إلا على شئ واحد ألا وهو الالتزام بألا يكون هناك من الالتزام أى درجة ولو قليلة، وهذا هو حال الخطبة التى وقف المسئول يؤديها بين الناس.

وإذا كان جيل المستمعين قد شعروا بالامتعاض والاستياء مما سمعوا، فإن هذا الخطيب نفسه لم ينج من هذا الإحساس.

مضافاً إليه الارتباك، وحوار القوى النفسية والعصبية لديه، ولا شك أنه قد أنهى هذا الخطاب، وهو يتمنى ألا يعود إلى مثل هذا الموقف أبداً.

وإذا أردنا أن نناقش مشكلة هذا الخطيب بعيداً عن موقفه المخجل، فإننا نلاحظ أنه قد تدرب قبل ذلك كثيراً وخطب بين الناس كثيراً، وقد قام بتحضير هذه الخطبة من ناحية المعلومات، إلا أنه فرح بكم المعلومات، وترك.

ويقل شعور الجمهور بالتعاطف مع الخطيب حين يقدم له أفكار الآخرين، من غير أن يبدي رأيه فيها، وبصفة عامة فالخطب الجاهزة هى ذلك الكفن الذى يغطي الخطبة وهي تلقي فى زاوية النسيان بالنسبة للجماهير.

والتسرع فى التحضير أو التفكير فى المادة المنقاة يسبب أحياناً انعكاسها لمناهج المتحدث، وقد حدث لأحد الخطباء عندما كان يجمع المادة العلمية لخطبة عن تحريك المال فى المجتمع (لكي لا يكون دولة بين الأغنياء) ومحاربة الجشع، أن ذهب لبعض كتب التصوف التى تتحدث عن الزهد، وجمع مادته منها، ولم يفكر فى هذه المادة بل جمعها وألقاها على الناس، وبعد الخطبة، لمناقشة

الجمهور له، كانت المفاجأة أنه أحدث عند الجمهور أثراً سيئاً، وأصبح شعارهم الفقر والزهد ولا شئ غيرهما فى الحياة، ووجد أنه وهو يحارب دولة المال بين الأغنياء، حارب المال أصلاً.

المعلومات الزائدة:

تلعب المعلومات الزائدة أو الاحتياطية دوراً هاماً فى نجاح الموضوع الذى يعرضه الخطيب على الناس، وهي أيضاً مهمة للغاية فى نمو ثقة الخطيب بنفسه أمام الناس، إلا أن كثيراً من الخطباء يتكاسلون عند التحضير للخطبة ويقفون عند الحد الأدنى للمعلومات الخاصة بهذا الموضوع، فإذا حضر أحد الخطباء موضوعاً عن الزكاة، فإنه يجهز عكسياً، وقد خرج المسلمون من المسجد وقد زهدوا فى المال فهم يعرفون المعلومات الخاصة بفرضية الزكاة، ومقدارها وعقوبة تارك الزكاة، وهي لسوء حظ هذا الخطيب معلومات متداولة ومعلومة بالضرورة، أما التحضير الجيد لموضوع الزكاة فإنه يكون بدراسة ما سبق مضافاً إليه دراسة أهمية الزكاة فى إعادة توزيع المال فى المجتمع، ودراسة عناصر الاقتصاد ودراسة مصارف الزكاة، ودراسة المشاكل التى يجب أن تحل من خلال الزكاة، ودراسة الجوانب النفسية الإيجابية للمعطى والآخذ على السواء، ثم أثر ذلك على حياة الأسرة المسلمة، والبلد المسلم، والأمة الإسلامية.

هذه المعلومات الاحتياطية، لا يستطيع الخطيب أن يذكرها على المنبر، فما أهميتها؟ تأتي أهمية هذه المعلومات من أنها تثبت الخطيب أكثر فأكثر، وتمده بالثقة بالنفس، وتجعله يختار ما يلائم الموقف ويناسب الجمهور.

تنسيق المعلومات داخل الذهن:

في محفل من المحافل السياسة، كان الخطيب مسئولاً كبيراً فى الدولة، وكان الجميع ينتظرون خطابه بشغف ليس بعده، لأنه سيتكلم فى موضوع يهم كثيراً من الناس، أضف تنسيقها، ومن هنا جاءت مشكلته وعقدته، وهذا يفتح باب عظيماً لدراسة فن الخطابة، ومن حيث: التركيز على توزيع المعلومات على المساحة الزمنية للخطبة مع مراعاة الظروف المحيطة بهذه الخطبة، من النواحي المتعددة مثل الجانب الاجتماعى والاقتصادي والسياسي والنفسى، والزماني والمكاني إلى آخر هذه الجوانب التى يجب أن يعكف عليها الخطيب دراسة، قبل أن يصعد منبر الخطابة، أنها أمور ثانوية لا تدخل فى صلب الموضوع المراد إبلاغه للناس، ولكن لا نجاح لأى خطبة دون مراعاة هذه الجوانب الثانوية.

بناء الخطبة:

كل البنائين يقومون ببناء المساكن بمواد أساسية متشابهة تتكون من لبنات موحدة، إلا أن لكل بناء إضافته التى تظهر فى

الشكل النهائي للبناء، وتضيف شيئاً إلى فن العمارة، وهكذا تكون الخطابة، إن عناصر الخطبة الدينية تكاد تكون واحدة، فهي تتكون من القرآن الكريم والسنة الشريفة وأقوال العلماء السابقين وآرائهم، ثم معالجة الواقع المتغير بما سبق، من مصادر، وهنا لابد أن يقوم كلُّ خطيب بعرض خاصٍ لهذه المعلومات، مع الاحتفاظ بمحورية الموضوع، ومضمونه، فيجب عليه وهو يعيد بناء معلوماته أن لا ينسى محورة هذه المعلومات حول المضمون الذى هدف إليه أولاً.

وكما يتم البناء من أساس وأدوار متعددة، ثم قمة شامخة يشد النظر إليها يضم بناء الخطبة أيضاً من أساس يوضع للقضية المراد عرضها على الجمهور، ثم وضع الركائز المتتالية التى تظهر هذا الموضوع، وفى نفس اللحظة تقوم عليه، فإذا كان موضوع الخطبة مثلاً، هو المشكلة الاقتصادية فى مجتمع المسلمين، فإن الركائز والأدلة تأتي شديدة الدلالة والوضوح على هذه القضية وتتوالى وتتنوع من غير أن تبعد عن الأساس المقامة عليه، لأنها لو ابتعدت عن الأساس (القضية المعالجة) أو انحرفت قليلاً فسوف تصبح عرضة لذر الرياح، والابتعاد عن بؤرة شعور السامعين، ولعل من أبرز مشاكل الخطابة فى مجتمع المسلمين، هو الاعتماد على الموهبة أو التقليد ومحاكاة الآخرين، وفى هذه النقطة الخاصة بناء الخطبة دأب جل الخطباء على التغاضى عن إقامة بناء للخطبة ولو

من الناحية الهيكلية، أى تصوروا الموضوع متكاملاً فى أذهانهم، وكثيرون يصعدون المنابر من غير تصور واضح للموضوع، ويستحضرون من الذاكرة موضوعات متكررة ويلقونها على الناس، ثم يهبطون من غير أن يعتريهم شعور غامر بالحزن، وخيانة الأمانة، بل ربما ظنوا أن ما حدث لهم كان إلهاماً تنزل عليهم فى تلك اللحظة التى صعدوا فيها إلى المنبر، ولعل فى هذا صرفاً لهمتهم عن التحضير أو النظر لبناء الخطبة، لأنهم أصبحوا يشعرون أنهم من أهل الإلهام وأن التحضير بالنسبة لهم نقص وعيب وتنكيب للطريق، وتلك الذاتية المتضخمة لدى الخطيب تقف عائقاً أمام تبليغ رسالته لأنه يريد أن يتحلى بشطر من النبوة التى ختمت برسول الله ﷺ ، إن ترك العمل المضني والجُهد الدعوب فى تحضير الخطبة بحث عن سراب، أو هو السراب، وإن الخطبة كائن حي يتركب من أعضاء، وكلما تناسقت أعضاؤه وتم بناؤه، كان أهلاً للحياة فى عقول وقلوب المستمعين.

استحضار المعلومات:

لا يدرك الشخص العادي أنه يفارق الحياة من غير أن يستعمل إلا جزءاً ضئيلاً من ذاكرته، ولذلك فالعبارات القادمة لها أهمية خاصة لمن يريد أن يستغل هذه الطاقة الجبارة التى أودعها الله سبحانه وتعالى فى ذاكرة الإنسان، وميزه بها عن سائر

الكائنات، وليس أمر استحضار المعلومات عسيراً إذا تعلم الإنسان كيفَ يستعمل ذاكرته بطريقة مفيدة، بعد أن يعرف أن عمل الذاكرة يرتكز على ثلاثة محاور نلخصها فيما يلي:

أ- الطبع:

ويقصد بالطبع هنا تثبيت الفكرة، أو اللفظة، أو المعلومة، فى الذاكرة لفترة طويلة، أى العمل على نقشها على الحجر لا رسمها على الماء محاولة تثبيت أى شئ فى الذاكرة، تشبه فى تركيزها قيادة السيارات؛ أى أنها تحتاج دوماً إلى ذهن يقظ متقد، وإلى محاولة أن يعيش الإنسان الفكرة وهو يحاول إدخالها فى الذهن.

قد يعيش الإنسان فى مدينة ما، فترة طويلة، ويسير فى شارع من شوارعها أكثر من عشرة أعوام – ومع ذلك لا يعي كثيراً من الأشياء التى يمر بها يومياً – ومثل هذا يحدث فى المراجعة السطحية للمعلومات، ولو تكررت هذه المراجعة عشرات المرات، إن بقاء فكرة ما فى ذهن الإنسان، يرجع فى الأساس إلى بداية إدخالها فى هذا الذهن، ويرجع أيضاً لحالة الذهن من اليقظة والاستعداد، فلو قدم لك صديق مجموعة من الناس، فى مكان عام، وكانت هذه المجموعة مكونة من خمسة أفراد، فإنك ستنسى أسماء ثلاثة منهم بعد الدقيقة الأولى، وواحد من اثنين بعد ربع ساعة، وربما تنسى الآخر قبل أن تقوم من مقامك، وقد تتذكره بعد حين إلا

أن هذا لا يرجع ليقظة فى ذهنك خاصة بهذا الأخير، ولكنه يرجع إلى وجود وتجدد هذا الاسم فى ذاكرتك.

إذن فطبع المعلومة يحتاج إلى يقظة من الخطيب وتكرار لهذه المعلومة مرة ومرات، فلو أنك فى المقال السابق الخاص بالتعارف، كررت اسم كل شخص خلف "المعرف" ثم طلبت إعادته مرة أخرى، ثم حاولت ربطه فى ذاكرتك باسم سابق، أو شكل لصديق قديم، فى هذه الحالة كنت قد استطعت طبع هذا الاسم بحيث لا يمحي بعد ذلك، وهذه الفكرة الساذجة هى الطريقة المثلى لعمل الذاكرة، ومحاولة الطبع عليها، فلا تجعل ذاكرتك كالماء يكتب عليه بسهولة، ويمحي ما عليه بسهولة أيضاً، بل اجعل من ذاكرتك حجراً يصعب النقش عليه، ويصعب أيضاً محو ما كتب عليه دائماً، فالإنسان الذى يتلقى المعلومة باستهتار وبدون أن يبذل فيها مجهوداً يذكر، يفقدها أيضاً من غير أن يشعر بها.

إنك لو أمسكت فى يدك بمجلة وقرأت فيها مقالاً، ووقفت عند جمال التعبير فى المقال، ثم فكرت فى مضمون المقال، وفى أحداثه وصوره، ثم ناقشت فيه صديقاً واختلفتما على أهمية هذا المقال، وأعدتما قراءته ثانية وثالثة، فإنك بعد هذه المحاولات ستجد نفسك قد اكتسبت أسلوباً تعلمته من كاتب المقال وتجمعت لديك معلومات جديدة عليك، ولكن نخرج جميعاً من قراءة المقالات

العلمية والأدبية بمثل هذه الحصيلة الكبيرة من المعلومات، فليس المهم بالنسبة لك أن تشاهد الشئ الذى تراه، ولكن المهم أكثر أن تتذوقه وأن تعيشه كفكرة تتقلب فى ذهنك مرات عديدة، وعلى الإنسان أن يقرأ المقال أو النص ثم يغمض عينيه ويتخيل هذا النص من البداية للنهاية، ثم يعكس هذا التخيل بحيث يبدأ من النهاية إلى البداية، وهكذا، حتى تثبت المعالم العامة لهذا المقال فى الذاكرة.

وقد لجأ بعض الخطباء إلى فكرة مهمة لتثبيت الفكرة فى الذاكرة، فقد أعد خطاباً يتحدث فيه عن واجب الحكومة فى تنمية الإنتاج الزراعي، وواجب الفلاحين حيال ذلك وعن المساحة التى يجب أن تستصلح من الأرض البور وعن إمكانيات الإنتاج من ألبان ودواجن ومحاصيل، وبعد أن أعد خطابه وهو فى مرحلة التدريب عليه، نسى بعض النقاط فأدرك أنه لن يلقيه كاملاً فى الحفل فلجأ إلى طريقة الصور فأمسك ورقة وقلماً، ورسم على الورقة صورة شرطي (يمثل الحكومة) وصورة فلاح يحمل الفأس (يمثل الفلاحين فى الخطبة) وثور وبقرة (تمثل الإنتاج الزراعى فى الأرض الجديدة) وصورة مربع فارغ (يمثل الأرض التى ستستزرع فى هذا المشروع) وبهذه الصور الأربع استطاع أن يؤدى خطابه بيسر وسهولة، وبغير أن ينسى منه فقرة واحدة، ذلك أن الصور تثبت فى ذاكرة الإنسان أكثر من المعانى المجردة.

ب- التكرار:

والتكرار هو الأساس الثانى لعمل الذاكرة والذاكرة تجئ عن طريق التكرار كثيراً من المكاسب الهامة، لعل أهمها على الإطلاق أن يحفظ تلميذ عمره سبع سنوات القرآن الكريم كاملاً، كيف حدث هذا؟ أنه التكرار المنظم والمستمر، فإذا كانت الفكرة تمثل لوحة على الذاكرة، فإن التكرار يمثل المسامير التى يثبت بها هذه اللوحة، خاصة التكرار اليقظ الذكي، إن كثيراً من علماء الذرة يتعجبون من حفظ طالب الأزهر للقرآن الكريم، ولا يعلمون أن ذلك يتم بطريقة التكرار، ولو أضاف طالب الأزهر الفهم لما يحفظ لحافظ عليه، وأضاف معه لذاكرته علوماً كثيرة.

وقد يمثل التكرار تلك الضربات المتلاحقة على أوتار الذاكرة لتثبت الفكرة عليها، وكلما زاد ذلك التثبيت كلما بقيت الفكرة عمراً أطول فى الذاكرة.

قد تتعرف على شخص غريب يرافقك فى سفر ولكنك ستنساه حينما تفارقه.

هناك طريقة غاية فى البساطة تجعلك لا تنساه أبداً، هى أن تترك الألقاب يا بيك، يا باشا، إلخ، وتناديه باسمه وتكرره كلما طلبت منه شيئاً، عند إذن لن يفارق هذا الاسم ذاكرتك ما حييت.

وتأتى بعد ذلك قاعدة التكرار على مراحل، وهي تقضي أن الإنسان لو كرر شيئاً ألفَ مرةٍ فى جلسة واحدة، فإنه سيحفظه ولكنه سينساه سريعاً بعكس ما لو كرره مائة مرة فى عشر جلسات متباعدة، فإذا أراد الخطيب أن يُحضرَ خطبة فى موضوع معين فعليه أن يعدها قبل أسبوع على الأقل من ميعاد أداء تلك الخطبة وفى كل يوم يكررها مرات، ويتدرب على أدائها مرة أو مرتين على الأقل، هذا بالنسبة للخطيب المتمكن، أما الخطيب المبتدئ فعليه ألا يكتفى بمرةٍ فى التدريب، بل عليه أن يتدرب مرات عديدة.

ج- النسيج الفكرى:

ويقصد بالنسيج الفكرى ترابط الأفكار داخل الذاكرة، لأن هذا الترابط يساعد الخطيب على الثبات، ويساعد الذاكرة على العطاء، فإذا حضر الخطيب خطبة عن مساعدة الإنسان للإنسان فى الحياة، فسوف يأتى بنص من القرآن الكريم يحض على التعاون بين الناس، ثم بنص آخر من السنة الشريفة، ثم يلجأ إلى واقع الحياة لينتزع منه ما يدلل به على افتراضاته التى اقترحها لمعالجة هذا الموضوع. هنا تتحد الأفكار فى ثلاثة مصادر، القرآن الكريم - السنة الشريفة - الواقع، ويتم الربط الذهنى بين هذه الأفكار بالفصل بينها تماماً، وتمييز كل مصدر بما تميز به من عرضه للفكرة، ثم ربط هذه الأفكار المميزة بموضوعها العام، ومن هذا يكون الفصل

والتمييز بين الأفكار أدعى لوصلها بعد ذلك، أما لو تركت الأفكار في الثلاثة تسبح فى الذاكرة كيفما اتفق، فإن الربط بينها وهي مبهمة يكون كالربط بين (لا شئ البتة).

وقد يتجاهل الإنسان الربط المنظم للأفكار داخل ذاكرته، فتلجأ الذاكرة من تلقاء نفسها إلى (الربط الحر) للأفكار، فهي تربط بين الرجل ذي القوة وبين حيوان قوى، وتربط بين المناظر الجميلة والأوقات الطيبة فى حياة الإنسان وهذا ربط طبيعي إلا أنه لا يمكن استدعاء المعلومات عن طريقه، لأنه يحس ولا ينطق، أى لا يمكن التعبير عنه بجمل لغوية مفهومة، ومن وسائل الربط الهامة إثارة كثير من الأسئلة حول الموضوع المراد ربط معلوماته فى الذاكرة فإذا أراد الخطيب أن يتحدث عن فرضية الصلاة وأراد أن يربط معلومات هذا الموضوع فليسأل نفسه هذه الأسئلة:

- ما فائدة الصلاة بالنسبة للإنسان والمجتمع ؟
- وكيف لا تتم إلا بهذه الهيئات التوفيقية؟
- وما حاجة العبد لها؟
- وما دورها فى ربط العبد بالكون الفسيح؟

إن محاولة الإجابة على هذه الأسئلة تربط معلومات الموضوع الأساسي، وهو فرضية الصلاة، وتجعلها ثابتة فى الذهن بشكل يكسب الخطيب الثقة فى نفسه، وفى علمه وفى أدائه.

وبهذا نكون قد قدمنا شرحاً موجزاً لأسس الذاكرة أو أسس عمل الذاكرة وعلى الخطيب مراجعة هذه الأسس عدة مرات لأنها تفيده كثيراً فى عمله وتيسر له أداءه بشكل يرضى الله سبحانه وتعالى وينفع المسلمين.

الصفات الذاتية للخطيب:

١- المثابرة:

عند تعلم أى فن من الفنون، أو لغة من لغات العالم يجب أن يكون معلوماً للمتعلم أنه لن يتقدم تقدماً سريعاً بل سيمر بأوقات موفقة وأخرى محبطة، إلا أن المهم له أن لا يقف عند النجاح ويترك المحاولة فى اتجاه الأفضل، أو يقف عند اليأس ويتقهقر إلى الخلف، لأن ذلك يقضي على مهمته قبل أن تبدأ، فالمثابرة هى طوق النجاة بالنسبة للخطيب وهي أمل الوصول فى نفس الوقت.

٢- الجزاء والجائزة:

مهما كان المجهود الذى يبذله الخطيب فى البداية مضنياً إلا أن الجائزة ستكون فى انتظاره، حين يصل إلى هدفه ولسوف ينظر إلى الوراء بفخر واعتزاز، لقد كان ذات يوم قريباً من الأبكم لا يستطيع أن يعبر عن ما بداخله من مشاعر وأحاسيس، وهاهو ذا قد أصبح قائداً ورائداً، ومحط آمال الحيارى والمساكين، الذين تنكبوا

الطريق، ويريدون العودة إلى الاستقامة من جديد، لقد كان يحلم قبل سنوات أن يقف فى الناس خطيباً ثابت العزم رابط الجأش، قوى الشكيمة، وهو يحقق كل ذلك بمجهود قليل، وربما لا يعادل كل ما بذل من مجهود لحظة بهجة وفرح بالنصر والتوفيق والتفوق.

٣- الإرادة:

إن إرادة الشئ نصف الوصول إليه، ولابد أن يقرر الإنسان الذى لم يزاول القيادة والريادة أن يكون كذلك، أى يكون خطيباً موجهاً وقائداً لحركة الجماهير، إن هذا القرار - برغم كونه شخصياً يدفع صاحبه بقوة فى اتجاه الوصول إلى الهدف المنشود، لابد أن تقرر وأن يكون قرارك ملزماً لك قبل غيرك، لقد كان بوسعك الابتعاد عن الطريق، وما يستتبعه من تضحيات جسام، ولكنك قررت فهيا لقد احترقت السفن، ولم يعد أمامنا غير المضي فى الطريق ... أنعم به من طريق.

٤- الخوف:

لكل شئ آفةً يخشى عليه منها، وآفة الخطابة الخوف، إن هذه الآفة تدع بعض ضعاف النفوس إلى التخلي عن البداية تجعلهم لا يحاولون، وأحياناً لا يفكرون فى المحاولة، وهنا يثار أكثر من سؤال: ما الذى يخشاه الخطيب؟ أنه يقف فى مكان بعيد عن الناس، تحفه الهيبة والوقار، وهو مطاع فى كل ما يقول، لأنه يبلغ عن الله

تعالى وعن رسوله ﷺ . لماذا لا يستمد قوته من موضوعه، ومن واقعه الآني (الوقوف عل المنبر)؟ فليستند وليعتمد على الله سبحانه وتعالى، وليأخذ من سيرة النبي الهادي ﷺ ذخيرة يدخرها فى ذاته ويستمد منها القوة والمثابرة.

٥- الإلقاء:

لا شك أن الكلمات والموضوعات التى يلقيها جميع الخطباء واحدة، إلا أن الإلقاء هو تلك الطريقة المميزة لكل خطيب فى إخراج هذه الكلمات والموضوعات، فكل الناس يصنعون الطعام من مواد وخامات موحدة، إلا أن المتفق عليه أن كل طعام الناس ليس متشابهاً وهكذا الخطابة، وهكذا الإلقاء، إنه لون الخطيب الذى يضعه على الكلمات عند إخراجها.

٦- استخدام الصوت:

أ- لكل كلمة حق وحجم فى إخراجها:

وهذه الأهمية تأخذها الكلمة وليس من ألفاظها كما فى التجويد، ولكنيا تأخذها من أهمية معناها النسبية بالنسبة للخطبة، أو المحاضرة، ويترك تقدير أهمية الكلمة إلى المتحدث نفسه، إلا أنه يجب أن يراعي الأهمية الفعلية للكلمة داخل الخطبة، مثل أن تكون عنواناً أو تكون دليلاً، أو تكون فعلاً يجب عمله، أو عادة يجب

التخلي عنها، وعندما يقدر الخطيب أهمية الكلمة يجب عليه أن يرفع بها صوته لتكون أعلى من باقي الكلمات، كما يحدث فى الكتابة من تكبير الكلمات المهمة أو وضع خط تحتها.

ب- المساحة الزمنية:

المساحة الزمنية هى تلك الفراغات الخالية من الصوت الذى يقع بين الكلمات، ويجب استخدام هذه الفراغات استخداماً مرشداً، بحيث تترك فترة زمنية مناسبة قبل وبعد الأفكار، أو الكلمات الميمة، إننا كما نشدد على رفع أو خفض بعض الجمل، فإننا نؤكد على أن استخدام الصمت لا يقل أهمية فى خدمة العبارة عن ذلك، لأن الخطيب يجب أن يتكلم من خلال صمته، أى يضيف معانٍ أخرى، إلى تلك المعاني التى أوصلها للمستمع من خلال كلماته.

ج- تلوين الصوت:

يمكن للمرء أن يضيف ألواناً إلى الأشياء المادية الحسية أما إضافة ألوان إلى الصوت، فإن ذلك ما يستدعى الدهشة والغرابة، إلا أن كثيراً من الناس يفعلون ذلك بشكل طبيعي، أى يرفعون أصواتهم ثم يخفضونها ويضيفون بعض العاطفة للصوت فى المواقف السارة، أو المواقف المحزنة وهذا ما يعرف بتلوين الصوت، ومن هنا يجب على الخطيب أن لا يقف عند طبقة واحدة من صوته أثناء خطبته، لأن ذلك يبعث على الملل والسآمة بالنسبة

للجمهور، ويصبح ذلك خطراً على المعاني التى يضمنها الخطيب خطابه.

٧- الحضور:

لا يعني حضور الخطيب حضوره فى المكان، فهذا معنى لا جدال فيه، إنما يعني الحضور عند الخطيب التواجد الحي، الشخصية المشرقة، العبارات الحية وهذا الحضور يتكون من عناصر كثيرة، منها شخصية الخطيب وذكائه وتفرسه بعينيه للجمهور، وترك النظر لأعلى، أو لأسفل أو لأى جهة أخرى، والحيوية التى تظهر على الخطيب، إن الخطباء من المسلمين ولفهم الخاطئ للتواضع يظهرون مسكنه وتذللاً على المنبر، وهذا ما يعوق تدفق حيويتهم وشعور الجمهور بهم، وتأتي الناحية الصحية واللياقة البدنية لتضيف بعداً جديداً إلى عناصر حضور الخطيب، أنه بعد الاستعداد للخطبة من تحضير وتدريب، يصبح من الأهمية بمكان الحصول على قسط وافر من الراحة الجسدية والابتعاد عن الانفعال، وترك تناول الطعام بكميات كبيرة قبل الخطبة، لأن الدم المفروض أن يذهب إلى المخ ليوقد طاقته كاملة، يتجه أسفل حيث المعدة والطعام الكثير الموجود بها، ويظهر ذلك على الخطيب كسلاً، وخمولاً، ونسياناً، ويشعر الجمهور أن هذا الخطيب قد حضر إلى هذا المكان للتسول، ولم يحضر لقيادة الناس فكرياً.

٨- الملابس:

من المقطوع به أنه لا يوجد جمهور من العالم يحترم خطيباً، لا يحترم نفسه، فى اختيار ملابسه، أو نظافتها أو تناسقها على جسده، فكثير من الخطباء يحضرون خطبهم ويتدربون عليها بما فيه الكفاية، ومع ذلك يخسرون جمهورهم بسبب ملابسهم السيئة، ومظهرهم الردئ، وعلى الخطيب أن يضع فى اعتباره أن جودة ملابسه وتناسقها تقدم له أفضل الخدمات فى تقديم خطاب أو خطبة ناجحة.

٩- الابتسامة:

إن إقبال الخطيب على الجمهور وهو منكسر الظهر، عابس الوجه، يعطي انطباعاً أولياً بأن هذا الخطيب منصرف عن الجمهور لمشاكله الخاصة، وبهذا يحدث الفصل بين الخطيب والجمهور، ومن هنا تأتي أهمية الابتسامة بالنسبة للخطيب وهو مقبل على جمهور، ثم تتكرر هذه الابتسامة خلال المواقف المناسبة فى الخطبة، وهذه الابتسامة تقوى من حضور الخطيب على المنبر أو فى حفل عام، وتوقظ الجماهير، وتشعل حماسها للتلقي، وإذا كان ذلك عزيزاً فى خطبة مثل خطبة الجمعة، فلا بأس بتقليل الابتسامة فى خطبة الجمعة لكن لا يجب التخلي عنها وتبقى الابتسامة هى عماد الخطابة، في الندوات والحفلات العامة، والقاعدة النفسية لهذا

أن هناك شبه اغتراب بين الخطيب وجمهوره بسبب موقع الخطيب المميز فى المكان والمكانة، ومن خلال الابتسامة تتلاشى المسافة الكائنة بين الخطيب وجمهوره.

١٠- الجمع والعقل الجمعي:

من المفيد أن يحرص الخطيب على أن يجمع جمهوره ليكون الجمهور متجاوراً فى المكان، فربما ذهب الخطيب إلى المسجد أو إلى أى مكان للخطابة، فوجد الجمهور مفرقاً وكل واحد يجلس بعيداً عن جاره، هذه الحالة يفقد الجمهور حماسه للسماع، والتفاعل مع ما سمع بعد ذلك، لأن الجمهور حين يتجاور يتحد العقل الجسمي عنده، والعقل الجمعي هو الانفعال المشترك للجمهور، وهو الذى يكون الصدى أو رد الفعل الخطيب وهو الذى يعطيه الزاد الذى يهيئ له الاستمرار، فلا يستطيع أى خطيب مهما كان مدرباً أن يقدم خطبة ناجحة بين جمهور متفرق، غير متفاعل مع ما يسمع، وعلى هذا تتأكد حاجة الخطيب إلى جمع جمهوره ليسهل عليه التأثير عليهم، وتوصيل البلاغ إليهم، وأداء خطبة ناجحة أمامهم.

١١- إضاءة المكان:

يلعب الضوء دوراً هاماً فى خلفية الأداء بالنسبة للخطيب، فالضوء الآتي من الخلف لا يصلح، ويؤثر على نجاح الخطبة، وكذا الضوء الآتي من الجانبين، والضوء المؤثر تأثيراً حسناً، هو ذلك

الضوء المواجه للخطيب لأنه يغمر وجهه، ويظهر التعبيرات الموجودة على الوجه بوضوح غير أنه يجب أن لا يكون الضوء مواجهاً للخطيب تماماً، فى خط مستقيم مع الوجه، بل يجب أن يكون الضوء من الأمام ومن أعلى بحيث يغمر الوجه ولا يحرج الرؤية بالنسبة للخطيب ويجب أن يكون الخطيب أوضح صورة فى المكان المعد للخطابة، وإذا كانت الخطبة فى محفل عام بعيداً عن المنبر، وجلس الخطيب خلف طاولة فيجب عليه أن لا يترك العمال يضعون شيئاً أمامه مثل الورود، وأواني المياه المختلفة لأن هذه الأشياء الصغيرة تحجب الضوء عنه وتحجبه عن الضوء ويكون بذلك قد خسر درجتين هامتين من درجات النجاح ربما لا يستطيع تعويضهما طوال الخطبة، وتفشل الخطبة، ويكون الفشل من شئ لا علاقة له بالعلم أو الأداء، وتلعب الأشياء المكدسة خلف الخطيب كالمقاعد القديمة والصور والخرائط دوراً هاماً فى صرف اهتمام الناس بعيداً عن الخطيب، والخطيب الذكي هو ذلك الخطيب الذى لا يترك شيئاً خلفه يخطف منه أبصار الناس، ولا يترك شيئاً أمامه يحجز عنه أبصارهم، يجب أن يكون الخطيب فى بؤرة الشعور بالنسبة للجمهور، وفى المكان الذى لا يرقى إليه غيره، من حيث اهتمامهم به، ومتابعتهم له.

١٢- السكون:

إن سكون المكان من العوامل التى تؤثر على نجاح الخطيب، لأن الخطيب إذا وقف للخطابة، بينما العمال ما يزالون يجهزون فى المكان، فإن الجمهور سوف ينصرف عن الخطيب إلى العمال وكأنهم يؤدون أعمالاً سحرية، إلى هذه الدرجة يفتن الجمهور بالأشياء المتحركة فى المكان أثناء الخطبة، وبعض الخطباء يستقبلون بعض الخطباء فى المحافل العامة، ويجلسونهم بجوارهم على منصة الخطابة ويعتبرون ذلك نوعاً من التواضع الذى يخدم دعوتهم وهم بذلك يصرفون الجمهور عن تلك الدعوة بجلوس الضيوف بجارهم، لأن الجمهور سوف ينصرف عن الخطيب إلى الضيوف الجالسين حوله، وإلى الأهمية التى جعلتهم يجلسون هكذا. إلى آخر هذه الظنون الصارفة للفكر عن متابعة موضوع الخطيب.

١٣- الإشارة:

السكون فى الخطابة الدينية هو الأصل، والإشارة فرع منه، أى أن السكون هو القاعدة، والإشارة هى الفعل النادر وتبقى للإشارة أهميتها إذا ظلت فى طور الفعل النادر إما إذا خرجت من طور الندرة إلى الكثرة، فإنها تفسد الخطاب، والخطبة فى وقت واحد، ولسنا فى حاجة إلى التذكير بأن الخطيب إذا صعد المنبر أو

وقف خطيباً فى ندوة، أو مؤتمر عام فإنه يقف ويتنفس بعمق، ثم يتأمل وجه الحضور من اليمين إلى الشمال، ثم يبدأ بالحديث ببطء لأن كل ذلك يدل على الثقة بالنفس، وهذه الدلالة تؤثر على قابلية الجمهور لموضوع الخطيب، وعليه ألا يكثر الإشارة، بل يترك يديه منسدلتين بجواره ويستخدمها فى الإشارة العادية التى تكون وليدة اللحظة ، وليست الإشارة المتكلفة المحسوبة كما يظن البعض.

المقدمة:

كان الناس فيما مضى يجدون وقتاً متسعاً لسماع خطيب معين واستنتاج ما سوف يقوله بعد قليل من بداية خطبته، أما وقد أصبح الناس يسافرون بالطائرات والقطارات السريعة والعربات، فإن ذلك الوقت الذى كانوا ينفقونه فى انتظار ما سوف يبوح به الخطيب، أصبح غير موجود فى حياة الإنسان المعاصر وأصبحت المقدمة الطويلة غير مقبولة على الإطلاق، ومن واجب الخطيب أن يبدأ مقدمته بما يلي:

أ- موضوع مثير.

ب- سؤال.

ج- موضوع يهم الناس فى معاشهم..

هذه المقدمة التى ستتشكل من عنصر من هذه العناصر سوف تكون سريعة هادفة منسجمة مع الجو النفسى للجمهور فى العصر الحديث، وعلى الخطيب أن يتجنب فى المقدمة أن يبدأ معتذراً عن أنه وقف بين يدى فلان من الناس، لأن هذا الاعتذار يضعف ويقلل من أهمية الخطيب بالنسبة للجمهور، والمطلوب من الخطيب أن يثير فضول الناس بالمقدمة، لا أن يثير عدم اهتمامهم به.

الخاتمة:

من المعروف أن كل خطبة لها مقدمة وقلب وخاتمة، فالمقدمة تثير انتباه الجمهور وتوجه ذهنه إلى الموضوع ويزيد قلب الخطبة للموضوع الذى نوهت له المقدمة إيضاحاً، ثم تأتي الخاتمة فتلخص الموضوع وتبرزه وترسخه فى عقل الجمهور، ويجب على الخطيب أن يترك انطباعاً جيداً عند جمهوره من خلال جودة الخاتمة لأن كلماتها تبقى فترة طويلة عالقة بذهن المستمع، فإذا كان أصعب شئ على قائد الطائرة هو الصعود والهبوط، وربما كان الهبوط أكثر صعوبة، فإن الأمر لا يختلف كثيراً، بالنسبة للخطيب وهو يعالج موضوعاً ما، إن أصعب شئ عليه المقدمة والخاتمة. ولذلك يجب على الخطيب أن يعد مقدمته وخاتمته قبل أن يبدأ

خطبته ولا يترك الخاتمة تتولد أمام الجمهور، وهو تحت تأثير الضغط النفسي الاجتماعي.

ويقع كثير من الخطباء فى أخطاء شائعة، وهم يحاولون إنهاء خطبهم فمنهم من يقول "هذا كل ما أعرف" أو "هذا كل ما عندي" ثم يجلس وهو يظن أنه وضع خاتمة مناسبة مع أنه لم يفعل شيئاً، بل وضع خاتمة لنفسه كخطيب لأنه فضح نفسه أمام الناس، إذا لم يكن عنده شئ فلماذا لا يترك هذا التعليق ويجلس عند آخر كلمة فى الموضوع، بعد أن يلقى على الناس تحية الختام.

وهناك خطيب آخر لا يتوصل إلى النهاية أبداً فكلما وصل إليها ابتعد عنها وهكذا يظل يدور ويكرر ويخرج إلى الخاتمة ثم يعود إلى قلب الخطبة وهكذا، وهذه هى حال المبتدئ فى الغالب، إلا أن بعض المحترفين يقعون فيها أحياناً، وللخروج من هذا الموقف يتبع الخطيب ما يلي من أجل أن يؤدى الخاتمة بطريقة مقبولة بعض الشئ:

أ- يجعل الخاتمة تلخيصاً للموضوع.

ب- يجعل الخاتمة تحمل الأمل والتفاؤل عن الموضوع الذى تكلم فيه.

ج- يجعل الخاتمة تثير سؤالاً فى ذهن الجمهور.

د- يختم ببيتين من الشعر.

هـ- يرفع صوته قليلاً بنص معين ثم بتوقف من غير أن يقول أنني سأنتهي من خطابي.

هذه النقاط لا تشتمل على صنوف الخاتمة المطلوبة ولكنها جاءت على سبيل المثال لا الحصر، وعلى الخطيب أن يأتي بأكثر من خاتمة من واقع تجربته الذهنية وممارسته العلمية.

فاعلية الخطبة:

إذا استطاع الخطيب أن يجعل ما يردده واضحاً فإنه يكون قد نجح فعلاً فى خطبته وعليه لكي يبلغ هذا الهدف أن يفعل ما يلي:

١- استخدام المقارنة لزيادة التوضيح، واستخدام المقارنة هناك يكون بنقل المعنى الغامض فى مثال ما إلى معنى واضح فى مثال آخر، وهذه الطريقة موجودة بكثرة فى كتاب الله تعالى وفى سنة رسوله ﷺ.

٢- البعد عن التعبيرات المتخصصة فى العلوم المختلفة بقدر المستطاع واللجوء إلى تعبيرات واضحة لكي تحدث عملية التعايش والتأثير بين الخطيب والجمهور.

٣- تكرار الأفكار المهمة فى الخطبة بطرق وأساليب مختلفة واستخدام وقائع محددة، فمثلاً لو تحدث الخطيب عن انتشار

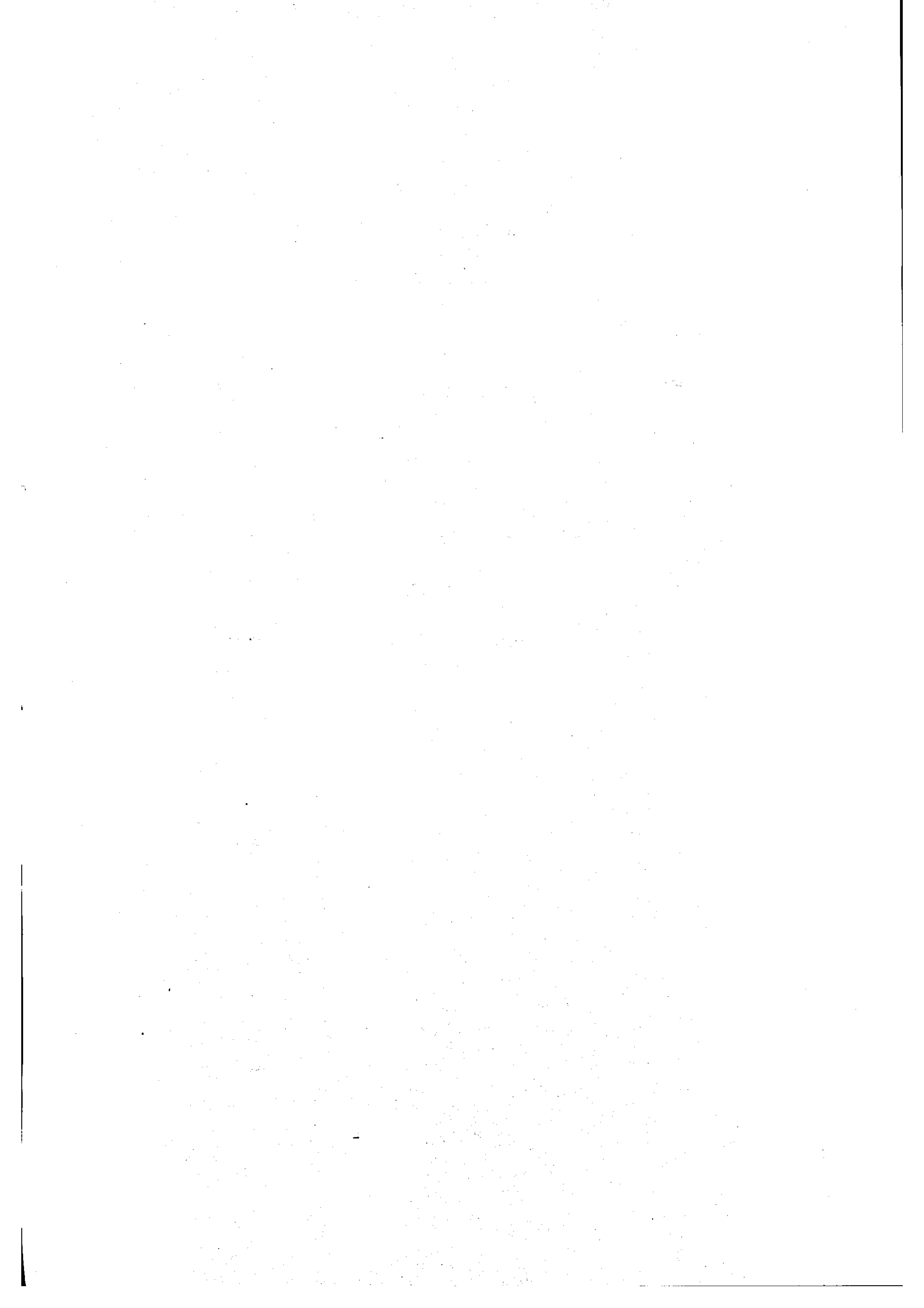
السرقة فى بلد ما، فعليه أن يذكر عدد الحالات التى تم ضبطها فى هذا البلد، خاصة بالسرقة وهكذا.

٤- إثارة اهتمام الجمهور وذلك بذكر شئ لا يفطن له الجمهور، فمثلاً إذا كنت تريد الحديث عن نظافة مدينتك، أو قريتك، فبادر بالحديث عن ما يتكلفه الوطن بصفة عامة من جراء إلقاء فضلات الأطعمة وأشياء أخرى فى الطريق واذكر عدد العاملين فى هذا المجال، من أطباء وغيرهم، ومقدار الجهد الذى يؤدونه لإنقاذ الوطن من كارثة التلوث، والأمراض الوبائية التى تنتج عنه.

٥- الموضوعية فى الحديث وعدم ذكر العبارات العامة، والعبارات التى تحمل الموضوع ما لا يحتمل، فمثلاً إذا تحدث عن توزيع بعض الصحابة صدقاتهم فى المدينة، فربما تقول: إن الصحابي كان يجتهد فى توزيع صدقاته فى يوم واحد، وكان (يطوف على نصف مليون مسلم) فى هذا اليوم. هذه العبارات غير موضوعية، ولا يمكن تحقيقها مع أنها جاءت للمبالغة فى شرح أفضال الصحابة رضوان الله عليهم إلا أنها أساءت للخطيب إساءة بالغة، وصرفت عنه جمهوره.

٦- تحسين الأسلوب بمعنى أن الشئ الذى تستطيع قوله بطريقة عادية، يمكن أن تقول نفس المعنى بأسلوب أفضل، وهكذا حتى يتحسن أسلوبك ولا تقف عند طريقة واحدة فى الخطاب، بل يجب التطوير دائماً، لأن أصحاب الحرف يرتفعون مع الزمن فى حرفهم، فلماذا يمضي الخطيب حياته على وتيرة واحدة واضعاً نفسه فى كهف أسلوب تعلمه ذات يوم مصادفة، لأنه يقرأ لنقل المعلومة فقط من غير أن ينظر إلى الأسلوب، وإذا حضر محفلاً عاماً ركز على معلومات الخطيب دون أسلوبه فى نقل هذه المعلومات إلى الجمهور.[١]

[١] فى هذا الفصل استفدت بكثير من الكتب التى تتحدث عن الأداء مضافاً الخبرة العلمية فى هذا المجال، إلا أن أكثر الكتب تأثيراً فى هذا الفصل هو كتاب الأستاذ/ دايل كارنجى – فن الخطابة – كيف تكسب الثقة وتؤثر بالناس – طبعة دار لهلال – بيروت – لبنان – ومازلت أنصح بقراءة هذا الكتاب لمن يجده.



الباب الثالث

تدريب عملى

الفصل الأول: تمارين الخطابة.

الفصل الثانى: نماذج أدبية.

الفصل الأول

تمارين الخطابة

تمرين (١):

"التغلب على الحرج العام داخل الجماعة المحدودة".

الخطوات:

- يقـوم المدرس بإلقاء بعض العبارات المحدودة والمحفوظة عادة لكل أفراد الجماعة مثل.(اللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).
- ثـم يطلـب من الجماعة تكرارها خلفه عدة مرات بصوت مرتفع ويظل يشير بيده إلى أعلى بما يفيد رفع الصوت حتى يغطي الصوت المكان تماماً.
- ثـم يطلب من كل فرد أن يردد هذه الجملة المحببة ثم يقوم ويقف في مكانه.
- ثـم يطلب من اثنين اثنين أداء الجملة بعد قسمتها بينهما إلى قسـمين هكـذا:(اللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلـى آله وصحبه وسلم).ثم يطلب من كل واحد منهما أن يـرفع صـوته أكثر من الآخر حتى يقتربا من الدخول في مواجهة حقيقية.

تمرين (٢):

"التغلب على الحرج العام داخل الجماعة المحدودة"

الخطوات:

- يقوم المدرس بإلقاء بعض العبارات القصيرة والمحفوظة عادة لكل أفراد الجماعة، ولكنها تكون أكثر طولاً من التمرين السابق وتكون من القرآن الكريم والسنة الشريفة مثل:
- قولــه تعالى: **"قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ".**
- ثم يطلب من الجماعة تكرارها خلفه مقطعاً مقطعاً عدة مرات بصوت مرتفع مع الإشارة من المعلم باليد إلى أعلى حتى يرتفع الصوت ويغطي المكان.
- ثم يطلب من كل فرد من الجماعة أن يردد هذه السورة مجزأة مع رفع الصوت ما أمكن.
- ثم يطلب من اثنين اثنين تكرار السورة بأن ينطق الأول آية ثم ينطق الثانى آية أخرى حتى نهاية السورة الكريمة..

ملاحظة: ليست هذه النصوص مطلوبة بذاتها ولكن للمعلم أن يختار ما يشاء ولكن بالشرطين السابقين.

أ- أن تكون العبارات سهلة النطق محدودة الألفاظ.

ب- أن تكون محفوظة ومألوفة للجميع.

تمرين (٣):

"غرس الثقة فى نفس المتحدث "

الخطوات:

- يقوم المدرس بشرح قضية فكرية شرحاً عاماً سهلاً موسعاً وبعد أن ينتهي يطلب من أفراد الجماعة "الطلاب" التعليق على هذه القضية فإذا كانت القضية مثلاً هي: موقف الإسلام من العلم الحديث وكان رأى الطلاب كالتالي:
- قام طالب وقال ما ملخصه أن الإسلام يؤيد العلم الحديث.
- وقام آخر وقال ما ملخصه أن الإسلام يرفض العلم الحديث.

التعليق:

لا ينبغي للمدرس أن يؤيد الرأى الأول على إطلاقه برفض الرأى الثانى على إطلاقه بل ينبغي عليه أن يبين الجوانب الإيجابية فى كلا الرأيين، وهذه الجوانب لا تخفي على كثير من المتأملين، وعلى المعلم أن يتجنب قدر الإمكان النقد القاسي الذى ينبعث من الوقوف عند كل جزئية من الفكرة النقد التى ألقاها الطالب، لأن المطلوب هو غرس الثقة فى نفس الطالب وجعله يتحدث بحرية تامة، وليس المطلوب هو التقعر والتعمق رأسياً فى دراسة الفكرة فقط.

تمرين (٤):

" تدريب المتحدث على الجرأة والشجاعة"

الخطوات:

- يطلب المدرس من الطلاب تحضير موضوعات للإلقاء ويختص كل فرد بموضوع معين يكون محبباً لديه ويحفظه حفظاً تاماً.
- يقوم المدرس أولاً باستدعاء الطلاب من غير تمييز أولاً بأول ثم يطلب الطالب التحدث وفى الغالب تحدث بعض العقبات كالتالي:

عقبات	التغلب عليه
١- ضحك من الجمهور.	تعضيد من المدرس.
٢- هرج من الجمهور.	رفع الصوت من المتحدث.
٣- محاولة اعتراض من الجمهور.	تعضيد من المدرس.
٤- اعتراض بصوت عال من الجمهور.	الاستمرار مع رفع الصوت من المتحدث.

بعد أن ينتهي الطالب الأول من إلقاء حديثه يعود إلى مكانة ثم يقوم آخر وهكذا.

ملاحظة:

لا ينبغي للمدرس أن يمنع الهرج الصادر من الجمهور المحدود لأن ذلك يشكل مناخاً صالحاً للتدريب وعليه أن يعضد المتحدث ويشجعه حتى يرتفع صوته ويتغلب على الجميع.

تمرين (٥):

"تدريب المتحدث على مناقشة الجمهور"

في صدر الإسلام كانت المناقشة بين المتحدث والمستمعين له شيئاً مألوفاً وكانت تبدأ من الخطيب لأحد المستمعين، كما حدث من رسول الله ﷺ مع الصحابي عكاشة، وأمره لأحد الصحابة بالقيام لصلاة تحية المسجد، ولم يتوقف هذا الأمر عند رسول الله ﷺ بل سار الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على هذه السنة الحسنة، حتى اعترضت إحدى السيدات على أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب عندما نهى التغالي فى المهور، ولكن المرأة ناقشته وهو على المنبر وأبرزت حجتها له وهو يدل على ثبات المتحدث واحترامه لعقلية السامع، والنزول على حجته.

- كيف يتم هذا التمرين؟

الخطوات:

- يأمر المحاضر أحد الطلاب بالحديث الذى أعده سابقاً.
- ثم يتركه حتى يصل إلى منتصف الحديث.
- ثم يشير إلى أحد الجالسين لكي يقاطع المتحدث ويعترض على بعض أقواله، ويقوم المتحدث بالرد عليه وإقناعه بصحة ما ذهب هو "أى الخطيب" إليه، أو النزول على حجته إن كانت صائبة وهذا التمرين يعود المتحدث على المواجهة والمناقشة العلمية أثناءها.

تمرين (٦):

" تنسيق الأفكار"

في هذا التدريب يقوم المحاضر باستدعاء الطلاب فرداً فرداً، ويطلب من كل فرد أن يتحدث فى أى موضوع يختاره هو "أى الطالب" ثم يلقيه على المستمعين.

الخطوات:

١- يقف الطالب فى مواجهة زملائه ويطلب منه التحدث.

٢- قد يبدي الطالب تحرجه وعدم قدرته على الحديث أمام هذا الجمع.

٣- يصر المحاضر على أن يتحدث الطالب أى حديث ولو كان قراءة الفاتحة وذكر أسمه وبعض المعلومات عنه.

٤- يعضد المحاضر الطالب ويبين له أنه لا فائدة من تلقي العلم بدون استعداد لإلقائه على الآخرين.

٥- لا يمل المحاضر من طلب النطق من الطالب، وكلما طال الوقت على الطالب في مواجهة زملائه ازداد ثقة بنفسه وزال عنه الخوف والارتباك.

٦- في النهاية ينطق الطالب بأى كلمات، ولكنها من منظور عملي عظيمة الفائدة للمتحدث جليلة النفع له فى المستقبل.

تمرين (٧):

" الأداء المجزأ"

يقوم المحاضر بتقسيم الطلاب إلى مجموعات صغيرة ويكلف كل مجموعة – بحسب رغبتها – بحفظ نص طويل مثل سورة من كتاب الله تعالى أو حديث طويل للنبي ﷺ ، أو بعض المقالات الأدبية أو قصيدة من الشعر..

الخطوات:

- يقوم كل طالب بحفظ الجزء الخاص به ويتدرب على أدائه فى منزله أمام جماعة محدودة بعد أن يشرح له المحاضر كيف يفعل ذلك.
- يحضر الطلاب فى اللقاء التالي وتقف كل مجموعة صفاً واحداً بحسب ترتيب حفظها للنص.
- يطلب المحاضر من الأول فى الحفظ والترتيب أن يقوم بإلقاء ما تدرب عليه.
- يكمل الطالب الذى يليه النص مباشرة، حتى يتلى النص دفعة واحدة، وهذه الطريقة تفيد فى التعضيد الجماعي وتكسب الثقة لأفراد المجموعة الواحدة.

تمرين (٨):

" خارج الجماعة المحدودة"

ليست الخطابة الناجحة من الأمور الهينة أو من الأمور التى تتوقف على الفطرة أو الموهبة كما يدعي البعض، ولكنها (أى الخطابة الناجحة) – تحتاج إلى تدريبات شاقة، ورغبة قوية من الطالب، لذلك يجب أن يكلف المحاضر الطلاب بإجراء تدريبات خاصة فى بيوتهم، وفى أماكن كثيرة أخرى يختارونها، تناسب نفسيتهم، وتشحذ همتهم، وعلى هذا تكون التمرينات الخاصة كما يلي:

- يختار الطالب فرداً واحداً من أسرته ليؤدى التمرين أمامه، ويكون التمرين عن أداء بعض المحفوظات لديه.
- يقوم بتكرار هذا التمرين عدة مرات.
- يقوم بتكرار نفس التمرين أمام عدد أكبر من أفراد أسرته.
- يقاوم الطالب كل رغبة منه أو من غيره للتهوين من قيمة هذا الأداء.
- تكرار الأداء مع تكرار المقاومة، ينتج نوعاً من الدفع الذاتي، أو القوة الذاتية لدى المؤدى.

تمرين (٩):

"قياس التلقي عند الجماعة الخاصة"

يستطيع الطالب قياس درجة التلقي والإجادة فى الأداء وهو يؤدى داخل أسرته، أو بين زملائه باتباع الخطوات التالية:

- يختار جماعة من أسرته، أو من زملائه لها سمات خاصة من الثقافة والخبرة الثقافية والخبرة الزمنية.
- يقوم بالأداء أمامهم بحرية تامة، ثم يسألهم عن ملاحظاتهم على هذا الأداء.
- وقد تكون ملاحظاتهم أنه يرفع يده أكثر من اللازم.
- أو يتحرك أكثر مما يجب.
- أو يبتسم وهو يحكي قصة محزنة.
- أو يكون عابس الوجه وهو يؤدى خبراً طيباً يسعد الآخرين، لأن ذلك يؤدى إلى تباعد المسافة بين المؤدى والمتلقي.
- هذه التمرينات الخاصة يجب أن يكررها الطالب كنشاط ضروري حتى يأتي إلى المحاضر التالية وهو مستعد لأداء ما يطلب منه.

تمرين (١٠):

"دخول بعض الأفراد إلى الجماعة المحدودة لسماع الخطبة أو الدرس من بعض أفرادها".

يطمئن المتحدث إلى جماعته المحدودة فيتحدث بداخلها كما يريد لكنه إذا خرج عنها ارتبك فى أدائه واضطرب فى أفكاره من أجل هذا يجب نقل المتحدث من الجماعة المحدودة إلى الجماعة العامة بالخطوات التالية:

- يطلب المحاضر من رئيس العمل – كعميد الكلية مثلاً أو مديرها وبعض الموظفين يطلب منهم – الحضور لسماع بعض أحاديث الطلاب، وهذه هى الخطوات الأولى لكسر النطاق المضروب حول الجماعة المحدودة، "كطلاب الفصل الدراسي الواحد" مثلاً.
- يطلب المحاضر من أحد الطلاب التحدث أمام رئيس العمل وبعض السادة الحضور.
- يحاول المحاضر أن يتيح الفرصة لكل الطلاب لإبداء آرائهم أمام الضيوف.

تمرين (١١):

"تغيير البيئة الطبيعية"

البيئة الطبيعية للمتحدث أو الوسط المثالي هو أن يتحدث بين مجموعة من الأفراد محدودة يتآلف معها، وأن يتحدث هو وينصت إليه الآخرون ولكن هذا النمط الطبيعي يجعله يعتمد على طبيعة الظروف ومحدودية الجماعة، وهذا يفقده القدرة على التحدث أمام جماعة أخرى فى ظروف مختلفة ولإخراج المتحدث من داخل نطاق جماعته ودعم إحساس المواجهة عنده تتخذ الخطوات التالية:

١- يطلب المحاضر من أحد الطلبة أن يتحدث فى موضوع يختاره.

٢- بعد أن يستغرق الطالب الأول فى الحديث يطلب المدرس من الطالب الثانى أن يتحدث.

- ثم يطلب من الثالث والرابع - فى ذات الوقت - وبهذا تنقلب البيئة الموائمة للإلقاء إلى بيئة شديدة الصعوبة ولا يهم الموضوع هنا بل المهم هو القدرة على الاستمرار فى الأداء عند هذه المجموعة بعد تغير بيئتها.

تمرين (١٢):

"تغيير شعور المتحدث واستبداله"

ينتاب المتحدثين الجدد شعور عميق بالخوف من مواجهة الجمهور وعلى المحاضر أن يغير هذا الشعور أو يستبدله بشعور آخر.

الخطوات:

١- يرصد المحاضر حافزاً مادياً لمن يتفوق فى الأداء.

٢- يتولد شعور جديد عند الطلبة وهو شعور الرغبة فى التفوق.

٣- يزداد هذا الشعور عند الطلاب شيئاً فشيئاً حتى يطرد الشعور بالخوف.

ومن الملاحظ أن الذين يتقدمون لبعض المسابقات ينسون خوفهم الطبيعي فى سبيل الفوز، كما يفعل طلاب بعض الكليات العسكرية، حين يقفزون فى الماء من ارتفاع شاهق فيما يسمى "اختبار الثقة" فهذا الطالب فى سبيل الفوز مارس عملاً ربما لم يمارسه من قبل فى حياته.

حين يؤدى الطالب الحديث الذى طلب منه مجتازاً حاجز الخوف يكون قد استبدل شعور الخوف بالإحساس بالتفوق.

تمرين (١٣):

"تغيير المكان"

يظل لمكان أثره فى تعضيد وتقوية نفسية المتحدث وشيئاً فشيئاً يرتبط المتحدث بهذا المكان، ولكي يتعود المتحدث على الأداء فى كل مكان يجب كسر هذا الحاجز النفسى وذلك باتباع الخطوات التالية:

- يقوم المحاضر بتغيير مكانه فى غرفة الدراسة وسوف تتغير الأماكن تبعاً لذلك.
- يتم إخراج الطلاب إلى ساحة الملعب "أو إلى حديقة الكلية وذلك لإلقاء كلمتهم مع إعطاء كل طالب أو طالبة الفرصة كاملة للتعبير عن نفسه وتقديم الأفكار التى يريد تقديمها.
- يتم تغيير مكان الدراسة من وقت لآخر.

هذا التمرين يكسر الحاجز النفسى المتعلق بالمكان.

تمرين (١٤):[١]

"إلقاء الشعر"

يحدد المحاضر لكل طالب شاعراً معيناً أو قصيدة معينة من الشعر وتلقى بالخطوات التالية:

- ينبه على الطلاب قبل موعد الإلقاء بحفظ القصيدة مع ضبط ألفاظها وتشكيل حروفها.
- يقوم الطالب بإلقاء ما حفظ من الشعر بطريقة خطابية أدائية وبصوت مرتفع.
- يتدخل المحاضر لتعضيد الطالب فى هذا ظاهر الأمر ولكنه يوجهه من خلال هذه المعونة فإذا وجده قد أخطأ فى نطق بعض الألفاظ فيطلب منه الإعادة ويظهر فى طلبه الألفاظ الصحيحة.
- ينبه المحاضر الطالب إلى أن يعيش فى جو القصيدة التى يلقيها فإذا كانت تتعلق بالشجاعة ظهرت على الطالب أمارات التحفز والاندفاع وهكذا.

---

[١] هذا التمرين والتمارين القادمة تتعلق بالإجادة ودقة الأداء.

تمرين (١٥):

"التدريب على التدريس وتثبيت الاستقلال فى نفس الطالب"

ربما يعمل بعض الطلاب بعد تخرجهم من الجامعة بمهنة التدريس لكي يكون مدرساً ناجحاً لابد له أن يتدرب على الوقوف أمام الطلاب وشرح الدرس لهم.

- يطلب المحاضر من الطلاب أن يعد كل طالب موضوعاً لتدريسه لهم.
- يطلب المحاضر من كل طالب القيام والتوجه إلى مكان شرح الدرس.
- يقوم الطالب بوضع العنوان للدرس.
- يقوم الطالب بشرح مضمون الدرس للطلاب.
- يتدخل المحاضر بالتعضيد والمساعدة.
- يشكل المحاضر مع الطالب فريقاً واحداً فى شرح الدرس.
- يختفي دور المحاضر بالتدريج لإشعار الطالب بالاستقلال الذاتي والقدرة النفسية على الأداء.

يكرر هذا التمرين مع كل الطلاب والطالبات من غير استثناء.

تمرين (١٦):

" التدريب على الخطابة المعضدة"

- يقوم المحاضر بتشكيل أكثر من فريق داخل الجماعة المحدودة.
- يعطي كل فريق نصاً لحفظه والتدريب على أدائه.
- يحدد موعداً للأداء يعلمه الجميع.
- يقف الفريق خلف العضو الذى يقوم بالأداء.
- يكون قريباً منه وهو يؤدى (للتعضيد المعنوي).
- يذكره بما نسى، ويذكره بمستوى الصوت المطلوب (تعضيد عملي).
- يحاول المحاضر تسجيل الأمور التى وفق فيها المؤدي مع فريقه.
- يشرح المحاضر بعض الأخطاء التى ارتكبها كل فريق مع عدم التركيز على أشخاص بعينهم.
- قبل أن ينتهي الأداء يحاول أن يتيح الفرصة لكل فرد داخل الفريق (من غير قياس للمستوى المطلوب).

تمرين (١٧):

"تعميق الثقة فى نفس المؤدي"

لابد من تدريب المتحدث على الأساليب التى تهيئ له سلامة الأداء، ومن أجل هذا يقوم المحاضر بتعليم الطلبة أداء العبارات الصحيحة من ناحية النحو العربي ويتبع الخطوات التالية:

- يطلب من الطالب أن يتحدث فى أى موضوع ويأمره بوصل العبارات وإظهار التشكيل فى نهايتها.
- عندما يخطئ الطالب يأمره بالإعادة فقط أكثر من مرة ولا يخبره بمكان الخطأ حتى يصل إليه بنفسه.
- إذا لم يصل الطالب إلى تحديد موضع الخطأ وتصحيحه بنفسه فيطلب المحاضر من طالب آخر معرفة مكان الخطأ فى الجملة ونطقها صحيحة.
- يرشد المحاضر الطلاب إلى الاهتمام بقواعد اللغة من الناحية العملية والتدريب على النطق الفصيح.
- يأمر الطالب بإعادة العبارة بنطقها الصحيح للوقوف على الفرق بين العبارة الصحيحة وغيرها.

تمرين (١٨):

"تلوين الأداء"

لا يجوز إخراج الصوت من الفم على حالة واحدة أو بمستوى واحد لأن ذلك يفسد الأداء ويجعله يشبه نشرات الأخبار.

ولتعليم الطلاب الأداء الصحيح يتخذ الخطوات التالية:

- يأمر المحاضر أحد الطلاب بذكر حادثة معينة تشتمل على بعض الأحداث المتغيرة، مثل بعض المواقف التى تستجلب الفرح ومواقف أخرى تثير الشجن فى نفس السامع.
- يقوم المحاضر بسؤال الطلاب عن رأيهم فى هذا الأداء.
- إذا لم يكتشفوا الخلل ويحاول المحاضر وضع الإجابة على ألسنتهم بطريقة غير مباشرة، حتى يترك بينهم من يستطيع أن يصحح لهم فى المستقبل.
- بعد ذلك يقوم المحاضر بشرح المطلوب من المؤدي لكي يتمكن من تلوين صوته ويعطي بذلك عمقاً وجمالاً للعبارة المنطوقة.
- لا ينتهي هذا التمرين إلا إذا تمكن جميع الطلاب من تلوين العبارة بلون المعنى الذى تشتمل عليه هذه العبارة.

تمرين (١٩):

"توزيع مساحات الصوت على الجملة"

يقوم المحاضر بتدريب الطلاب على ضبط الصوت على الجملة المنطوقة مع التلوين.

فمثلاً يختار المحاضر بيتاً من الشعر ويأمر أحد الطلاب بأدائه. فإذا كان البيت من شعر أبي القاسم الشابي مثلاً كقوله:

- إذا الشعب يوماً أراد الحياة

فلابد أن يستجيب القدر

- فالنطق الخطابي يكون هكذا:
- إذا الشعب يوماً أراد الحياة.

فلابد أن يستجيب القدر

- وذلك بمد الياء فى الحياة مداً طويلاً ومد الياء فى يستجيب مداً متوسطاً.
- لأن مساحة كلمة الحياة فى الذهن مساحة واسعة فيجب توسيع الصوت معها هكذا/ ويمكن ذلك بسهولة لوجود حرف العلة بها.
- يطلب المحاضر من الطالب تكرار نفس العبارة عدة مرات حتى يصل إلى مستوى طيباً فى الأداء.

الفصل الثانى

نماذج أدبية

القدرة للإمام على بن أبي طالب[١] من خطبة له عليه السلام.

الحمد لله الذى لا تحركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر، ولا تحجبه السواتر، الدال على قدمه بحدوث خلقه وبحدوث خلقه على وجوده، وباشتباههم على أن لا شبه له. الذى صدق فى ميعاده، وارتفع عن ظلم عباده، وقام بالقسط فى خلقه وعدل عليهم فى حكمه، مستشهد بحدوث الأشياء على أزليته وبما رسمها له من العجز على قدرته، وبما أضطرها إليه من الفناء على دوامه، واحد لا بعدد، ودائم لا بأمد[٢]، وقائم لا بعمد تتلقاه الأذهان لا بمشاعره[٣]، وتشهد له المرائى لا بمحاضرة. لم تحط به؟ الأوهام، بل تجلىٰ لها بها، وبها لمتنع منها، ليس بذي كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيماً، ولا بذى عظمٍ تناهت به الغايات فعظمته

---

[١] من كتاب نهج البلاغة تحقيق الشيخ محمد عبده ص١١٥ طبعة النهضة بغداد.

[٢] الأمد: الغاية.

[٣] المشاعرة: انفعال إحدى حواس بما تحسه من جهة عروض شئ منه عليها، والمرائى – جمع مــراء بالفتح – وفى المنظر أى تشهد له مناظر الأشياء لا بحضوره فيها شاخصاً للأبصار.

تجسيداً. بل كبر شأناً، وعظم سلطاناً. واشهد أن محمداً عبده ورسوله الصفى، وأمينة الرضى، صلى الله عليه وآله. أرسله بوجوب الحجج[1]، وظهور الفلج وإيضاح المنهج، فبلغ الرسالة صادعاً بها، وحمل على المحجة دالاً عليها، وأقام أعلم الاهتداء ومنار الضياء. وجعل أمراس الإسلام متينة[2]، وعزى الإيمان وثيقة.

(منها فى صفة خلق أصناف من الحيوان): ولو فكروا فى عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا إلى الطريق وحموا عذاب الحريق ولكن القلوب عليلة، والبصائر مدخولة. ألا تنظرون إلى صغير ما خلق كيف أحكم خلقه، واتقن تركيبه. وفلق به السمع والبصر، وسوى له العظم والبشر.[3]

انظروا إلى النملة فى الصف اليابس والحجز الجامس[4]، ولو فكرت فى مجاري أكلها فى علوها وسفلها وما فى الجوف من شراصيف بطنها[5] وما فى الرأس من عينها وأذنها لقضيت من

---

[1] أى يلزم العباد بالحجج والبينة على ما دعاهم من الحق.

والفلج: الظفر وظهوره: علو كلمة الدين.

[2] الأمراس جمع مرس وبالتحريك وهو جمع مرسة بالتحريك الحبلي.

[3] جمع بشرة وهي ظاهر الجلد الإنسانى.

[4] الجامس الجامد.

[5] الشراصيف: مقاط الأضلاع وهي أطرافها التى تشرف على البطن.

خلقها عجباً ولقيت من وصفها تعباً فتعالى الذى أقامها على قوائمها، وبناها على دعائمها، لم يشركه فى فطرتها فاطر، ولم يعنه فى خلقها قادر، ولو ضربت فى مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة إلا على أن فاطر النملة هو فاطر النخلة لدقيق تفصيل كل شيء[١]. وغامض اختلاف كل وحي وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوى والضعيف فى خلقه إلا سواء، وكذلك السماء والهواء والرياح والماء فانظر إلى الشمس والقمر والنبات والشجر والماء والحجر واختلاف هذا الليل والنهار، وتفجر هذه البحار، وكثرة هذه الجبال، وطول هذه القلال[٢] وتفرق هذه اللغات، والألسن المختلفات، فالويل لمن جحد المقدر وأنكر المدبر، زعموا أنهم كالنبات ما لهم زارع، ولا لاختلاف صورهم صانع، ولم يلجأوا إلى حجة فيما ادعوا[٣] ولا تحقيق لما أوعوا، وهل يكون بناء من غير بان، أو جناية من غير جان وإن شئت قلت فى الجرادة إذ خلق لها عينين حمراوين. وأسرج لها حدقتين قمراوين[٤]، وجعل لها السمع الخفي، وفتح لها الفم السوي وجعل

---

[١] أى أن دقة التفصيل فى النملة على صغرها والنخلة على طولها تدلك على أن الصانع واحد.

[٢] القلال – جمع قلة بالضم – وهي رأس الجبل.

[٣] لم يلجأوا: لم يستندوا ، وأوعاه – كوعاه – بمعنى حفظه.

[٤] أى مضيئين كأن كلا منهما ليلة قمراء أضاءها القمر.

لها الحس القوى، ونابين بهما تقرض ومنجلين بهما تقبض[١]، يرهبها الزراع فى زرعهم، ولا يستطيعون ذبها[٢] ولو أجلبوا بجمعهم، حتى ترد الحرث فى نزواتها[٣]، وتقضي منه شهواتها، وخلقها كله لا يكون إصبعاً مستدقة.

فتبارك الله الذى يسجد له من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً، ويعنو له خداً ووجهاً، ويلقي إليه بالطاعة سلماً وضعفاً، ويعطي له القياد رهبة وخوفاً، فالطير مسخرة لأمره، أحصى عدد الريش منها والنفس، وأرسى قوائمها على الندى واليبس[٤]. وقدر أقواتها، وأحصى أجناسها، فهذا غراب وهذا عقاب، وهذا حمام، وهذا نعام، ودعا كل طائر باسمه، وكفل له رزقه، وأنشأ السحاب الثقال فأهطل ديمها[٥] وعدد قسمها،فبل الأرض بعد جفوفها، وأخرج نبتها بعد جدوبها.

---

[١] المــنجل – كمنبر – آلة من حديد معرفة يقضب بها الزرع. قالوا أراد بها هنا رجليها لاعوا جاجيما وخشونتهما.

[٢] دفعها.

[٣] وثباها، نزا عليه: وثب.

[٤] المراد من الندى هنا مقابل اليبس بالتحريك فيعم الماء كأنه يريد أن الله جعل من الطير ما تثبت أرجله فى الماء. ومنه ما لا يمشي إلا فى الأرض اليابسة.

[٥] الهطل – بالفتح – تتابع المطر والدمع. والديم – كالهمم – جمع ديمة: مطر يدوم فى سـكون بـلا رعد ولا برق. وتعديد القسم أحصاء ما قدر منها لكل بقعة: وجدوب الأرض: يبسها لاحتجاب المطر عنها.

التوحيد للإمام على بن أبي طالب[١]

ما وحده من كيفه، ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا إياه عني من شبهه، ولا صده من أشار إليه وتوهمه[٢]، كل معروف بنفسه مصنوع[٣]، وكل قائم في سواه معلول، فاعل لا باضطراب آلة، مقدر لا بجول فكرة، غنى لا باستفادة، لا تصحبه الأوقات، ولا ترفده الأدوات[٤] سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده والابتداء أوله بتشعيرة المشاعر عرف أن لا مشعر له[٥]، وبمضادته بين الأمور عرف أن لا ضد له وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له،

---

(١) من كتاب نهج البلاغة – تحقيق الشيخ محمد عبده ص١١٩ مطبعة النهضة – بغداد.

(٢) صمده: قصده.

(٣) أى كل معروف الذات بالكنة مصنوع لأى معرفة الكنة إنما تكون بمعرفة لأجزاء الحقيقة معروف الكنة مركب والمركب مفتقراً فى الوجود لغيره فهو مصنوع.

(٤) ترفده – كتنصره – أى تعينه.

(٥) المشعر – كفعل – محل الشعور أى الإحساس فهو الحاس، وتشعيرها/إعدادها للانفعال المخصوص الذى يعرض لها من المواد وهو ما يسمى بالإحساس، فالمشعر من حيث هو مشعر منفعل دائماً ولو كان الله مشعر لكان منفعلاً، والمنفعل لا يكون فاعلاً، وقد قلنا أنه هو الفاعل بتشعير المشاعر، وهذا بمنزلة أن يقال فاعل فى حلقة فلا يكون منفعلاً عنهم كما يأتي التصريح به، وإنما خص باب الشعور بالذكر رداً على من زعم أن لله مشاعر، وعقده التضاد بين الأشياء دليل على استواء نسبتها إليه فلا ضد له إذا لو كان له طبيعة تضاد شيئاً لاختص إيجاده بما يلائمها لاماً يضادها فلم تكن أضداد، والمقارنة بين الأشياء من نظام الحلقة دليل أن صانعها واحد إذ لو كان له شريك لخالفه فى النظام الإيجادي فلم تكن مقارنة، والمقارنة هنا: المشابهة.

ضاد النور بالظلمة والوضوح بالبهمة والجمود بالبلل، والحرور بالصرد[١]، مؤلف بين متعاديها[٢] مقارن بين متبايناتها مقرب بين متباعداتها، مفرق بين متدانباتها[٣] لا يشمل بحد ولا يحسب بعد، وإنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير الآلة إلى نظائرها منعتها منذ القدمية، وحمتها قد الأزلية وجنبتها لولا التكملة[٤]، بها تجلى صانعها للعقول، وبها امتنع عن نظر العيون، لا يجرى عليه السكون والحركة، وكيف يجرى عليه ما هو أجراه، ويعود فيه ما هو أبداه، ويحدث فيه ما هو أحدثه إذا لتفاتت ذاته[٥] ولتجزأ كنهه، ولامتنع من الأزل معناه ولكان له وراء إذا وجد له إمام. ولالتمس

---

[١] الصرد – محركاً – البرد أصلها فارسية.

[٢] متعادياتها كالعناصر.

[٣] كالجزئين من عنصر واحد فى جسمين مختلفي المزاج.

[٤] منذ، وقد ولولا، فواعل للأفعال قبلها، ومنذ لابتداء الزمان وقد لتقريبه ولا يكون الابتداء والتقريب إلا فى الزمان المتناهي وكل مخلوق يقال فيه قد وجد ووجد منذ كذا، وهذا مانع للقدم والأزليه، وكل مخلوق يقال فيه لولا خلقه ما وجد ناقص لذاته محتاج للتكملة بغيره، والأدوات أى آلات الإدراك التى هى حادثة ناقصة كيف يمكن لها أن تحد الأزلى المتعالى عن النهاية فى الكمال، وقوله بها أبتلك الأدوات أى بواسطة ما أدركته من شئون الحوادث عرف الصانع فتجلى للعقول وبها أى بمقتضى طبيعة تلك الأدوات من أنها لا تدرك إلا مادياً محدوداً امتنع سبحانه عن إدراك العيون التى هى نوع من تلك الأدوات.

[٥] أى لاختلف ذاته باختلاف الأعراض عليها ولتجزأت حقيقته فإن الحركة والسكون من خواص الجسم وهو منقسم، ولصار حادثاً فإن الجسم بتركيبه مفتقر لغيره.

التمام إذ لزمه النقصان. وإذا لقامت آية المصنوع فيه، ولتحول دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه. وخرج بسلطان الامتناع من أن يؤثر فيه ما يؤثر فى غيره[١] الذى لا يحول ولا يزول، ولا يجور عليه الأفول[٢]، ولم يلد فيكون مولوداً[٣] ولم يولد فيصير محدوداً[٤].

جل عن اتخاذ الأبناء وطهر عن ملامسة النساء، لا تناله الأوهام فتقدره، ولا تتوهمه الفطن فتصوره، ولا تدركه الحواس فتحسه، ولا تلمسه الأيدي فتمسه، لا يتغير بحال ولا يتبدل بالأحوال، ولا تطويه الليالي والأيام، ولا يغيره الضياء والظلام، ولا يوصف بشئ من الأجزاء[٥]، ولا بالجوارح والأعضاء، ولا بعرض من الأعراض، ولا بالغيرية والأبعاض، ولا يقال له حد ولا نهاية، ولا انقطاع ولا غاية ولا أن الأشياء تحويه، فتلقه أو تهويه[٦]، أو أن شيئاً يحمله فيمليه أو يعد له، ليس فى الأشياء بوالج[٧]، ولا عنها بخارج، يخبر لا بلسان ولهوات[٨]، ويسمع لا

---

[١] وخرج عطف على قوله لا يجرى عليه السكون، وسلطان الامتناع هو سلطان العزة الأزلية.

[٢] من أفل النجم إذا غاب.

[٣] المراد بالمولد المتولد عن غيره سواء كان بطريق التناسل المعروف أو كان بطريق النشوء كتولد النبات عن العناصر ومن ولد بإحدى الطريقتين.

[٤] تكون بداية وجوده يوم ولادته.

[٥] أى لا يقال ذو جزء كذا ولا ذو عضو كذا.

[٦] تقله أى ترفعه وتهويه أى تحطه وتسقطه.

[٧] أى داخل.

[٨] جمع لهاة اللحمة فى سقف أقصى الفم.

بخروق وأدوات، يقول ولا يلفظ ويحفظ ولا يتحفظ[١]، ويريد ولا يضمر، يحب ويرضى من غير رقة، ويبغض ويغضب من غير مشقة، يقول إن أراد كونه كن فيكون، لا بصوت يقرع، ولا بنداء يسمع، وإنما كلامه سبحانه فعل منه[٢] أنشأه. ومثله لم يكن من قبل ذلك كائناً، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً.

لا يقال كان بعد أن لم يكن فتجئ عليه الصفات المحدثات، ولا يكون بينها وبينه فصل[٣]، ولا له عليها فضل، فيستوي الصانع والمصنوع ويتكافأ المبتدئ والبديع، خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه، وأنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال، وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم ورفعها بغير دعائم، وحصنها من الأود والأعوجاج[٤]، ومنعها من التهافت والانفراج[٥]، أرسى أوتادها، وضرب أسدادها، واستفاض عيونها وخد أوديتها[٦]، فلم يهن ما بناه[٧]، ولا ضعف ما

---

[١] أى يتكلف الحفظ، "ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم".

[٢] كلامه أى الألفاظ والحروف التى يطلق عليها كلام الله باعتبار ما دلت عليه وهي حادثة عند عموم الفرق ما خلا من الحنابلة، أو المراد بالكلام هنا ما أريد فى قوله تعالى "قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفذ" الآية، وهو على ما قال بعض المفسرين أعيان الموجودات.

[٣] ولا يكون عطف على تجرى.

[٤] عطف تفسير على الأود.

[٥] التهافت: التساقط قطعة قطعة، والانفراج: الانشقاق.

[٦] الأوتاد: جمع وتد، والأسداد: جمع سد وخد أى شق.

[٧] يهن – من الوهن – بمعنى الضعف.

قواه، هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته، وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته، والعالي على كل شئ منها بجلاله وعزته، لا يعجزه شئ منها طلبه، ولا يمتنع عليه فيغلبه، ولا يفوته السريع منها فيسبقه، ولا يحتاج إلى ذي مال فيرزقه خضعت الأشياء له، وذلت مستكينة لعظمته، لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره فتمنع من نفعه وضره، ولا كفو له فيكافئه، ولا نظير له فيساويه، هو المفنى لها بعد وجودها، حتى يصير موجودها كمفقودها.

وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها بأعجب من إنشائها واختراعها، وكيف لو اجتمع جميع حيوانها من طيرها وبهائمها، وما كان من مراحها وسائمها[١] وأصناف أسناخها وأجناسها[٢]، ومتبلدة أممها وأكياسها على إحداث بعوضة ما قدرت على أحداثها، ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها ولتحيرت عقولها فى علم ذلك وتناهت ورجعت خاسئة خاسرة[٣] عارفة بأنها مقهورة مقرة بالعجز عن إنشائها، مذعنة بالضعف عن أفنانها.

وأن الله سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شئ معه، كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها، بلا وقت ولا مكان، ولا حين ولا زمان، عدمت عند ذلك الآجال والأوقات، وزالت السنون

---

[١] مراحها – بضم الميم – اسم مفعول من أراح الإبل ردها إلى المرح بالضم أى المأوى والسائم – الراعي يريد ما كان مأواءها وما كان في مرعاه.

[٢] الأسناخ المراد منها الأنواع أى الأصناف الداخلة فى أنواعها والمتبلدة أى الغبية، والأكياس، جمع كيس – بالتشديد – العاقل الحاذق.

[٣] الخاسئ الذليل، والحسير الكال المعيى.

والساعات فلا شئ إلا الواحد القهار الذى مصير جميع الأمور، بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها، وبغير امتناع منها كان فناؤها، ولو قدرت على الامتناع دام بقاؤها لم يتكاءده صنع شئ منها إذ صنعه[١]، ولم يؤده منها خلق ما خلقه وبرأه. ولا يكونها لتشديد سلطان، ولا خوف من زوال ونقصان، ولا للاستعانة بها على نكد مكاثر[٢]، ولا لاحتراز بها من ضد مثاور، ولا للازدياد بها فى ملكه، ولا لمكاثرة شريك فى شركه ولا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها، ثم هو يفنيها بعد تكوينها لا لسأم دخل عليه فى تصريفها وتدبيرها، ولا لراحة واصلة إليه. ولا لثقل شئ منها عليه، لم يمله طول بقائها فيدعوه إلى سرعة لفنائها. لكنه سبحانه دبرها بلطفه، وأمسكها بأمره وأتقنها بقدرته، ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها، ولا استعانة بشئ منها عليها ولا لانصراف من حال وحشة إلى حال استئناس، ولا من حال جهل وعمى إلى حال علم والتماس، ولا من فقر وحاجة إلى غنى وكثرة، ولا من ذلك وضعة إلى عز وقدرة.

---

[١] لم يتكاءده: لم يشق عليه، ولم يؤده: لم يثقله، وبرأة مرادف لخلقه.

[٢] الند – بالكسر – المثل، والمكاثرة: المغالبة بالكثرة يقال ؟؟ فكثرة أى غلبة، والمثاور المواثب المهاجم.

الشعر

مع الله والذرة[١]

بك أستجير ومن يجير سواكا

فأجر ضعيفاً يحتمى بحماك.

إنى ضعيف أستعين على قوى

ذنبى ومعصيتى ببعض قواكا

أذنبت يا ربى وآذتنى ذنوبُ

ما لها من غافر الاكا[٢]

دنياى غرتنى وعفوك غرنى

ما حيلتى فى هذه أو ذاكا

لو أن قلبى شك لم يك مؤمناً

بكريم عفوك ما غوى وعصاكا

يا مدرك الأبصار، والأبصار لا

تدرى له ولكنه إدراكاً

أتراك عين والعيون لها مدى

ما جاوزته، ولا مدى لمداكا

---

[١] الشعر مع الله والذرة – لفضيلة الأستاذ الشيخ/ إبراهيم على بديوي شيخ معهد دمنهور الديني.

[٢] آذتنى: أثقلتنى.

إن لم تكن عينى تراك فإننى

في كل شئ أستبين علاكاً

يا منبتَ الأزهارِ عاطرة الشذا

هذا الشذا الفواح نفح شذاكا

يا مرسلَ الأطيارِ تصدحُ في الرُبا

صدحاتها إلهام موسيقاكا

مالى وما للأقوياء وأنت يا

ربى ورب الناس ما أقواكا

ما لى وأبواب الملوك وأنت من

خلق الملوك وقسم الأملاكا

إنى أويت لكل مأوى فى الحياة

فما رأيت أعزَّ من مأواكا

وتلمست نفسى السبيل إلى النجاة .

فلم تجد منجى سوى منجاكا

وبحثت عن سر السعادة جاهداً

فوجدت هذا السر فى تقواكا

فليرض عنى الناس أو فليسخطوا

أنا لم أعد أسعى لغير رضاكا

أدعوك يا ربي لتغفر حوبتى

وتعيننى وتمدنى بهداكا

فأقبل دعائي واستجب لرجاوتى

ما خاب يوماً من دعا ورجاكا

يا رب هذا العصر ألحد عندما

سخرت يا ربى له دنياكا

علمته من علمك النورى ما

علمته فإذا به عاداكا

ما كاد يطلق للعلا صاروخه

حتى أشاح بوجهه وقلاكا

واغتر حتى ظن أن الكون فى

يمنى بنى الإنسان لا يمناكا

أو ما درى الإنسان أن جميع ما

وصلت إليه يداه من نعماك؟

أو ما درى الإنسان أنك لو أردت

لظلت الذرات فى مخباكا؟

لو شئت يا ربى هوى صاروخه

أو لو أردت لما استطاع حراكا

يا مجرىً الأنهار ما جريانها

إلا انفعالة قطرة لنداكا

رباه هأنذا خلصت من الهوى

واستقبل القلب الخلى هواكا

وتركت أنسى بالحياة ولهوها

ولقيت كل الأنس فى نجواكا

ونسيت حبى واعتزلت أحبتى

ونسيت نفسى خوف أن أنساكا

ذقت الهوى مراً ولم أذق الهوى

يا رب حلواً قبل أن أهواكا

أنا كنت يا ربى أسير غشاوة

رانت على قلبى فضل سناكا

واليوم يا ربى مسحت غشاوتى

وبدأت بالقلب البصير أراكا

يا غافر الذنب العظيم وقابلاً

للتوبِ: قلب تائب ناجاكا

أترده وترد صادق توبتى

حاشاك ترفض تائباً حاشاكا

يا رب جئتك نادماً أبكى على

ما قدمته بيداى لا أتباكا

أنا لست أخشى من لقاء جهنم

وعذابها لكنني أخشاكا

أخشى من العرض الرهيب عليك يا

ربى وأخشى منك إذ ألقاكا

يا رب عدت إلى رحابك تائباً

مستسلماً مستمسكاً بعراكا

مالي وما للأغنياء وأنت يا

رب الغنى ولا يحد غناكا

يا أيها الإنسان مهلاً واتئد

واشكر لربك فضل ما أولاكا

واسجد لمولاك القدير فإنما

مستحدثات العلم من مولاكا

الله مازك دون سائر خلقه

وبنعمة العقل البصير حباكا

أفإن هداك بعلمه لعجيبة

تزور عنه وينثني عطفاكا

إن النواة والكترونات التى

تجرى يراها الله حين يراكا

ما كنت تقوى أن تفتت ذرة

منهن لولا الله قد قواكا

كل العجائب صنَعة العقل الذى

هو صنعة الله الذى سواكا

والعقل ليس بمدرك شيئاً إذا

ما الله لم يكتب له الإدراكا

لله فى الآفاق آياتُ لعل

أقلها هو ما إليه هداكا

ولعل ما فى النفس من آياته

عجب عجاب لو ترى عيناكا

والكون مشحون بأسرار إذا

حاولت تفسيراً لها أعياكا

قل للطبيب تخطفته يُد الردى

يا شافىَ الأمراضِ: من أرداكا؟

قل للمريض نجا وعُوفّى بعد ما

عجزت فنون الطب: مِن عافاكا؟

قل للصحيح يموت لا من علة

مَنْ بالمنايا يا صحيح دهاكا؟

قل للبصير وكان يحذر حفرة

فهوى بها من ذا الذى أهواكا؟

بل سائل الأعمى خُطا بين الزحام

بلا اصطدام: من يقود خطاكا؟

قل للجنين يعيش معزولاً بلا

راع ومرعى: ما الذى يرعاكا؟

قل للوليد بكى وأجهش بالبكاء

لدى الولادة: ما الذى أبكاكا؟

وإذا ترى الثعبان ينفث سمه

فاسأله: من ذا بالسموم حشاكا؟

واسأله كيف تعيش يا ثعبان أو

تحيا وهذا السم يملأ فاكا؟

واسأل بطون النحل كيف تقاطرت

شهداً وقل للشهد من حلاكا ؟

بل سائل اللبن المصفى كان بين

دمٍ وفرثٍ ما الذى صفاكا؟

وإذا رأيت الحى يخرج من حنايا

ميت فاسأله: من أحياكا؟

وإذا ترى ابن السود أبيض ناصعاً

فاسأله: من أين البياض أتاكا؟

وإذا ترى ابن البيض أسودَ فاحماً

فاسأله: من ذا بالسواد طلاكا؟

قل للهواء تحسه الأيدي ويخفى

عن عيون الناس من أخفاكا؟

قل للنبات يجف بعد تعهد

ورعاية: من بالجفاف رماكا؟

وإذا رأيت النبت فى الصحراء يربو

وحده فاسأله: من أرباكا؟

وإذا رأيت البدر يسرى ناشراً

أنواره فاسأله: من أسراكا؟

واسأل شعاع الشمس يدنو وهى

أبعد كل شئ ما الذى أدناكا؟

قل للمرير من الثمار من الذى

بالمر من دون الثمار غذاكا؟

وإذا رأيت النخلَ مشقوقَ النوى

فاسأله: من يا نخل شقَ نواكا؟

وإذا رأيت النار شب لهيبها

فاسأل لهيب النار: من أوراكا؟

وإذا ترى الجبل الأشم مناطحاً

قممَ السحابِ فسله من أرساكا؟

وإذا ترى صخراً تفجر بالمياه

فسله: من بالماء شقّ صفاكا؟

وإذا رأيت النهر بالعذب الزلال

جرى فسله: من الذى أجراكا؟

وإذا رأيت البحر بالملح الأجاج

طغى فسله: من الذى أطغاكا؟

وإذا رأيت الليل يأشى داجياً

فاسأله: من يا ليل حاك دجاكا؟

وإذا رأيت الصبح يسفر ضاحياً

فاسأله: من يا صبحُ صاغَ ضحاكاً؟

هذى عجائب طالما أخذت بها

عيناك وانفتحت بها أذناكا !!

والله فى كل العجائب ماثل

إن لم تكن لتراه فهو يراكا؟

يا أيها الإنسان مهلاً ما الذى

بالله جل جلاله أغراكا

حاذر إذا تغزو الفضاء فربما

ثار الفضاء لنفسه فغزاكا

أغزِ الفضاءَ ولا تكن مستعمراً

أو مستغلاً باغياً سفاكاً

إياك أن ترقى بالاستعمار في

حرم السموات العلا إياكا

إن السموات العلا حرم طهور

يحرق المستعمر الأفاكا

أغز الفضاء ودع كواكبه سوا

بحُ إن فى تعويقهن هلاكاً

إن الكواكب سوف تفقد رشدها

وتحطم الأبراج والأفلاكا

والجاذبية سوف يفسد أمرها

وتسئ عقباها إلى عقباكا

ولسوف تعلم أن فى هذا قيا

م الساعة الكبرى هنا وهناكا

أنا لا أثبط من جهود العلم أو

أنا فى طريقك أغرس الأشواكا

لكننى لك ناصحُ فالعلم أن

أخطأت فى تسخيره أفناكا

سخر نشاط العلم فى حقل الرخا

ء يصغ من الذهب النّضار ثراكا

سخره يملأ بالسلام وبالتعا

ون عالماً متناحراً سفاكاً

وادفع به شر الحياة وسوءها

ولمسح بنعمى نوره بؤساكا

العلم إحياء وإنشاء وليـــ

ـــس العلم تدميراً ولا إهلاكاً

فإذا أردت العلم منحرفاً فما

أشقى الحياة به وما أشقاكا

الهمزية النبوية[١]

وُلِدَ الهدى، فالكائناتُ ضياءُ

وفُم الزمانِ تَبسمُ وثناءُ

الروح والملأ الملائك حوله

الدين والدنيا به بشراءُ

والعرشُ يزهو، والحظيرةُ تزدهى

والمنتهى، والسدرة العصماءُ

وحديقَةُ الفرقانِ ضاحكةُ الرُّبا

بالترجمان، شذية، غناء

والوحيِ يقطر سلسلاً من سلسل

واللوح والقلم البديع رواء

نظمت أسامى الرسل فهى صحيفة

فى اللوح، واسم محمد طغراء

اسم الجلالة فى بديع حروفه

ألف هنالك، واسم (طه) الباء

---

[١] الشاعر أحمد شوقي.

يا خيرُ مَنْ جاءَ الوجود تَحيةً

من مرسلين إلى الهدى بك جاءوا

بيت النبيين الذى لا يلتقى

إلا الحنائف فيه والحنفاءُ

خيرُ الأبوة حازهم لك (آدم)

دون الأنامِ، وأحرزتْ حواءُ

هم أدركوا عز النبوةِ وانتهت

فيها إليك العزُّة القعساءُ

خلقت لبيتك، وهو مخلوق لها

إن العظائم كفوءها العظماء

بك بشر الله السماء فزينت

وتضوعت مسكاً بك الغبراء

وبدا محياك الذى قسماته

حقٌ، وغرته هدىً وحياءُ

وعليه من نور النبوة رونقٌ

ومن الخليل وهدية سِيْمُاءُ

أثنى (المسيح) عليه خلف سمائه

وتهللتْ وأهتزتْ (العذراءُ)

يوم يتيه على الزمان صباحه

ومساوءه (بمحمد) وَضّاءُ

الحق عالى الركن فيه، مظفرُ

في الملك، لا يعلو عليه لواء

ذعرتْ عروشُ الظالمين، فزلزلتْ

وعلتْ على تيجانِهم أصداءُ

والنارُ حاويةُ الجوانب حولهم

خمدت ذوائبها، وغاض الماء

والآى تترى، والخوارق جمة

(جبريل) رَوّاحُ بها غداءُ

نعم اليتيم بدتْ مَخايلُ فضله

واليتم رزقُ بعضه وذكاءُ

في المهد يستسقى الحيا برجائه

وبقصده تُستَدفعُ البأساءُ

بسوى الأمانة فى الصبا والصدق لم

يعرفه أهل الصدق والأمناء

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا

منها وما يتعشق الكبراء

أو لم تقم ديناً، لقامت وحدها

دينا تضئ بنوره الآناء

زانتك فى الخلق العظيم شمائل

يغرى بهن، ويولع الكرماء

أما الجمال، فأنت شمس سمائه

وملاحة (الصديق) منك أياء

والحسن عن كرم الوجوه، وخيره

ما أوتى القواد والزعماء

فإذا سخوت بلغت بالجود المدى

وفعلت ما لا تفعل الأنواء

وإذا عفوت فقادرا، ومقدرا

لا يستهين بعفوك الجهلاء

وإذا رحمت فأنت أم، أو أب

هذان فى الدنيا هما الرحماء

وإذا غضبت فإنما هى غضبة

في الحق، لا ضغن ولا بغضاء

وإذا رضيت فذاك فى مرضاته

ورضى الكثير تحلم وغباء

وإذا خطبت فللمنابر هزة

تعرو الندى، وللقلوب بكاء

وإذا قضيت فلا ارتياب، كأنما

جاء الخصوم من السماء قضاء

وإذا حميت الماء لم يورد، ولو

أن القياصر والملوك ظماء

وإذا أجرت فأنت بيت الله، لم

يدخل عليه المستجير عداء

وإذا ملكت النفس قمت ببرها

ولو أن ما ملكت يداك الشاء

وإذا بنيت فخير زوج عشرة

وإذا ابتنيت فدونك الآباء

وإذا صبحت رأى الوفاء مجسماً

في بردك الأصحاب والخلطاء

وإذا أخذت العهد، أو أعطيته

فجميع عهدك ذمة ووفاء

وإذا مشيت إلى العدا فغضنفر

وإذا جريت فإنك النكباء

وتمد حلمك للسفيه مداريا

حتى يضيق بعرضك السفهاء

في كل نفس من سطاك مهابو

ولكل نفس فى نداك رجاء

والرأى لم ينض المهند دونه

كالسيف لم تضرب به الآراء

يا أيها الأمي، حسبك رتبه

في العلم أن دانت لك العلماء

الذكر آية ربك الكبرى التى

فيها لباقي المعجزات غناء

صدر البيان له إذا إلتقت اللغى

وتقدم البلغاء والفصحاء

نسخت به التوراة وهي وضيئة

وتخلف الإنجيل وهو ذكاء

لما تمشى فى (الحجاز) حكيمة

قضت (عكاظ) به، وقام حراء

أزرى بمنطق أهله وبيانهم

وحي يقصر دونه البلغاء

حسدوا، فقالوا: شاعر، أو ساحر

ومن الحسود يكون الاستهزاء

قد نال بالهادي الكريم وبالهدى

ما لم تنل من سؤدد سيناء

أمسى كأنك من جلالك أمة

وكأنه من أنسه بيداء

يوحى إليك الفوز فى ظلماته

متتابعاً تجلى به الظلماء

دين يشيد آية فى آية

لبناته السورات والأضواء

الحق فيه هو الأساس، وكيف لا

والله جل جلاله البناء؟

أما حديثك فى العقول فمشرع

والعلم والحكم الغوالى الماء

هو صبغة الفرقان، نفحة قدسه

والسين من سوراته والراء

جرت الفصاحة من ينابيع النهى

من دوحة، وتفجر الإنشاء

في بحره للسابحين به على

أدب الحياة وعلمها إرساء

أتت الدهور على سلافته، ولم

تفن السلاف، ولا سلا الندماء

بك يا ابن عبد الله قامت سمحة

بالحق من ملل الهدى غراء

بنيت على التوحيد، وهي حقيقة

نادى بها سقراط والقدماء

وجد الزعاف من السموم لأجلها

كالشهد، ثم تتابع الشهداء

ومشى على وجه الزمان بنورها

كهان وادي النيل والعرفاء

إيزيس ذات الملك حين توحدت

أخذت قوام أمورها الأشياء

لما دعوت الناس لبى عاقل

وأصم منك الجاهلين نداء

أبوا الخروج إليك من أوهامهم

والناس فى أوهامهم سجناء

ومن العقول جداول وجلامد

ومن النفوس حرائر وإماء

داء الجماعة من آرساليس لم

يوصف له حتى أتيت دواء

فرسمت بعدك للعباد حكومة

لا سوقة فيها ولا أمراء

الله فوق الخلق فيها وحده

والناس تحت لوائها أكفاء

والدين يسر، والخلافة بيعة

والأمر شورى، والحقوق قضاء

الاشتراكيون أنت إمامهم

لولا دعاوي القوم والغلواء

داويت متئدا، وداووا طفرة

وأخف من بعض الدواء الداء

الحرب فى حق لديك شريعة

ومن السموم الناقعات دواء

والبر عندك ذمة، وفريضة

لا منة ممنونة وجباء .

جاءت فوحدت الزكاة سبيله

حتى التقى الكرماء والبخلاء

أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى

فالكل فى حق الحياة سواء

فلو إن إنساناً تخير ملة

ما اختار إلا دينك الفقراء

يأيها المسرى به شرفاً إلى

ما لا تنال الشمس والجوزاء

يتسائلون – وأنت أطهر هيكل

: بالروح أم بالهيكل الإسراء؟

بهما سموت مطهرين، كلاهما

نور، وريحانية، وبهاء

فضل عليك لذى الجلال ومنة

والله يفعل ما يرى ويشاء

تغشى الغيوب من العوالم، كلما

طويت سماء قلدتك سماء

في كل منطقة حواشي نورها

نون، وأنت النقطة الزهراء

أنت الجمال بها، وأنت المجتلى

والكف، والمرآة، والحسناء

الله هيا من حظيرة قدسه

نزلاً لذاتك لم يجزه علاء

العرش تحتك سدة وقوائماً

ومناكب الروح الأمين وطاء

والرسل دون العرش لم يؤذن لهم

حاشا لغيرك موعد ولقاء

الخيل تأبى غير (أحمد) حامياً

وبها إذا ذكر اسمه خيلاء

شيخ الفوارس يعلمون مكانه

إن هيجت آسادها الهيجاء

وإذا تصدى للظبى فمهند

أو للرماح فصعدة سمراء

وإذا رمى عن قوسه فيمينه

قدر، وما ترمى اليمين قضاء

من كل داعي الحق همة سيفه

فلسيفه فى الراسيات مضاء

ساقي الجريح، ومطعم الأسرى ومن

أمنت سنابك خيله الأشلاء

إن الشجاعة فى الرجال غلاظة

ما لم تزنها رأفة وسخاء

والحرب من شرف الشعوب فإن بغوا

فالمجد مما يدعون براء

والحرب يبعثها القوى تجبرا

وينوء تحت بلائها الضعفاء

كم من غزاة للرسول كريمة

فيها رضى للحق أو إعلاء

كانت لجند الله فيها شدة

في إثرها للعالمين رخاء

ضربوا الضلالة ضربة ذهبت بها

فعلى الجهالة والضلال عفاء

دعموا على الحرب السلام، وطالما

حققت دماء فى الزمان دماء

الحق عرض الله، كل أبية

بين النفوس حمى له ووقاء

هل كان حول محمد من قومه

إلا صبى واحد ونساء

ردوا ببأس العزم عنه من الأذى

ما لا ترد الصخرة الصماء

والحق والإيمان إن صبا على

برد ففيه كتيبة خرساء

نسفوا بناء الشرك، فهو خرائب

واستأصلوا الأصنام، فهي هباء

يمشون تغضى الأرض منهم هيبة

وبهم حيال نعيمها إغضاء

حتى إذا فتحت لهم أطرافها

لم يطغهم ترف ولا نعماء

يا من له عز الشافعة وحده

وهو المنزه، ما له شفعاء

عرش القيامة أنت تحت لوائه

والحوض أنت خياله السقاء

تروى وتسقى الصالحين ثوابهم

والصالحات ذخائر وجزاء

ألمثل هذا ذقت فى الدنيا الطوى

وانشق من خلق عليك رداء؟

لي فى مديحك يا رسول عرائس

تيمن فيك، وشاقهم جلاء

هن الحسان، فإن قبلت تكرماً

فمهورهن شفاعة حسناء

أنت الذى نظم البرية دينه

ماذا يقول وينظم الشعراء؟

المصلحون أصابع جمعت يدا

هي أنت، بل أنت اليد البيضاء

ما جئت بابك مادحا، بل داعيا

ومن المديح تضرع ودعاء

أدعوك عن قومي الضعاف لأزمة

في مثلها يلقى عليك رجاء

أدرى رسول الله أن نفوسهم

ركبت هواها، والقلوب هواء؟

متفككون، فما تضم نفوسهم

ثقة، ولا جمع القلوب صفاء

ظلموا شريعتك التى نلنا بها

ما لم ينل فى رومة الفقهاء

مشت الحضارة فى سناها واهتدى

في الدين والدنيا بها السعداء

صلى عليك الله ما صحب الدجى

حاد، وجنت بالفلا وجناء

واستقبل الرضوان فى غرفاتهم

بجنان عدن آلك السمحاء

خير الوسائل، من يقع منهم على

سبب إليك فحسبى (الزهراء)

في ذكرى المولد النبوي[١]

سلوا قلبي غداة سلا وتابا

لعل على الجمال له عتابا

ويسأل فى الحوادث ذو صواب

فهل تراك الجمال له صوابا؟

وكنت إذا سألت القلب يوماً

تولى الدمع عن قلبي الجوابا

ولي بين الضلوع دم ولحم

هما الواهي الذى ثكل الشبابا

تسرب فى الدموع، فقلت: ولى

وصفق فى الضلوع، فقلت: ثابا

ولو خلقت قلوب من حديد

لما حملت كما حمل العذابا

وأحباب سقيت بهم سلافا

وكان الوصل من قصر حبابا

---

[١] الشاعر أحمد شوقي.

ونادمنا الشباب على بساط

من اللذات مختلف شرابا

وكل بساط عيش سوف يطوى

وإن طال الزمان به وطابا

كأن القلب بعدهم غريب

إذا عادته ذكرى الأهل ذابا

ولا ينبيك عن خلق الليالي

كمن فقد الأحبة والصحابا

أخا الدنيا، أرى دنياك أفعى

تبدل كل آونة إهابا

وأن الرقط أيقظ هاجعات

وأترع في ظلال السلم نابا

ومن عجب تشيب عاشقيها

وتفنيهم، وما برحت كعابا

فمن يغتر بالدنيا فإني

لبست بها فأبليت الثيابا

لها ضحك القيان إلى غبى

ولي ضحك اللبيب إذا تغابى

جنيت بروضها ورداً، وشوكا

وذقت بكأسها شهداً، وصابا

فلم أر غير حكم الله حكماً

ولم أر دون باب الله بابا

ولا عظمت فى الأشياء إلا

صحيح العلم، والأدب اللبابا

ولا كرمت إلا وجه حر

يقلد قومه المنن الرغابا

ولم أر مثل جمع المال داء

ولا مثل البخيل به مصابا

فلا تقتلك شهوته، وزنها

كما تزن الطعام أو الشرابا

وخذ لبنيك والأيام ذخراً

وأعط الله حصته احتسابا

فلو طالعت أحداث الليالي

وجدت الفقر أقربها انتيابا

وأن البر خير فى حياة

وأبقى بعد صاحبه ثوابا

وأن الشر يصدع فاعليه

ولم أر خيراً بالشر آبا

فرفقاً بالبنين إذا الليالي

على الأعقاب أوقعت العقابا

ولم يتقلدوا شكر اليتامى

ولا ادرعوا الدعاء المستجابا

عجبت لمعشر صلوا وصاموا

عواهر، خشية وتقى كذابا

وتلفيهم حيال المال صما

إذا داعى الزكاة بهم أهابا

لقد كتموا نصيب الله منه

كأن الله لم يحص النصابا

ومن يعدل بحب الله شيئاً

كحب المال، ضل هوى وخابا

أراد الله بالفقراء برا

وبالأيتام حبا وارتيابا

فرب صغير قوم علموه

سما وحمى المسومة العرابا

وكان لقومه نفعاً وفخرا

ولو تركوه كان أذى وعابا

فعلم ما استطعت، لعل جيلا

سيأتي يحدث العجب العجابا

ولا ترهق شباب الحي يأسا

فإن اليأس يخترم الشبابا

يريد الخالق الرزق اشتراكا

وإن يك خص أقواما وحابى

فما حرم المجد جنى يديه

ولا نسي الشقي، ولا المصابا

ولولا البخل لم يهلك فريق

على الأقدار تلقاهم غضابا

تعبت بأهله لوما، وقبلى

دعاة البر قد سئموا الخطابا

ولو أني خطبت على جماد

فجرت به الينانيع العذابا

ألم تر للهواء جرى فأفضى

إلى الأكواخ، واخترق القبابا؟

وأن الشمس فى الآفاق تغشى

حمى كسرى، كما تغشى اليبابا

وأن الماء تروى الأسد منه

ويشفى من تلغلغها الكلابا؟

وسوى الله بينكم المنايا

ووسدكم مع الرسل الترابا

وأرسل عائلاً منكم يتيماً

دنا من ذي الجلال فكان قابا

نبي البر، بينه سبيلاً

ومن خلاله، وهدى الشعابا

تفرق بعد عيسى الناس فيه

فلما جاء كان لهم متابا

وشافي النفس من نزعات شر

كشاف من طبائعها الذئابا

وكان بيانه للهدى سبلاً

وكانت خيله للحق غابا

وعلمنا بناء المجد، حتى

أخذنا إمرة الأرض اغتصابا

وما نيل المطالب بالتمني

ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وما استعصى على قوم منال

إذا الإقدام كان لهم ركابا

تجلى مولد الهادي، وعمت

بشائره البوادي والقصابا

لقد وضعته وهاجا، منيراً

كما تلد السماوات الشهابا

فقام على سماء البيت نورا

يضئ جبال مكة والنقابا

وضاعت يثرب الفيحاء مسكاً

وفاح القاع أرجاء وطابا

أبا الزهراء، قد جاوزت قدري

بمدحك، بيد أن لي انتسابا

فما عرف البلاغة ذو بيان

إذا لم يتخذك له كتابا

مدحت المالكين، فزدت قدرا

فحين مدحتك اقتدت السحابا

سألت الله فى أبناء ديني

فإن تكن الوسيلة لي أجابا

وما للمسلمين سواك حصن

إذا ما الضر مسهم ونابا

كأن النحس حين جرى عليهم

أطار بكل مملكة غرابا

ولو حفظوا سبيلك كان نورا

وكان من النحوس لهم حجابا

بنيت لهم من الأخلاق ركنا

فخانوا الركن، فانهدم اضطرابا

وكان جنابهم فيها مهيبا

وللأخلاق أجدر أن تهابا

فلولاها لساوى الليث ذئبا

وساوى الصارم الماضي قرابا

فإن قرنت مكارمها بعلم

تذللت العلا بهما صعابا

وفي هذا الزمان مسيح علم

يرد على بني الأمم الشبابا

إلى عرفات[1]

إلى عرفات الله يا خير زائر

عليك سلام الله فى عرفات

ويوم تولى وجهه البيت ناضرا

وسيم مجالي البشر والقسمات

على كل أفق بالحجاز ملائك

تزف تحايا الله والبركات

إذا حديث عبس الملوك، فإنهم

لعبسك فى البيداء خير حداة

لدى الباب جبريل الأمين براحة

رسائل رحمانية النفحات

وفي الكعبة الغراء ركن مرحب

بكعبة قصاد، وركن عفاة

وما سكب الميزان ماء، وإنما

أفاض عليك الأجر والرحمات

---

[1] الشاعر أحمد شوقي.

و (زمزم) تجري بين عينيك أعيناً

من الكوثر المعسول منفجرات

ويرمون إبليس الرجيم، فيصطلى

وشانيك نيرانا من الجمرات

يحييك (طه) فى مضاجع طهره

ويعلم ما عجلت من عقبات

ويثنى عليك (الراشدون) بصالح

ورب ثناء من لسان وفات

لك الدين يا رب الحجيج جمعتهم

لبيت طهور الساح والعرصات

أرى الناس أصنافاً، ومن كل بقعة

إليك انتهوا من غربة وشتات

تساووا، فلا الأنساب فيها تفاوت

لديك، ولا الأقدار مختلفات

عنت لك فى الترب المقدي جبهة

يدين لها العاتي من الجبهات

منورة كالبدر، شماء كالسها

وتخفض في حق، وعند صلاة

ويا رب، لو سخرت ناقة (صالح)

لعبدك، ما كانت من السلسات

ويا رب، هل سيارة أو مطارة

فيدنو بغيد البيد والفلوات؟

ويا رب، هل تغنى عن العبد حجة

وفي العمر ما فيه من الهفوات؟

وتشهد ما آذيت نفساً، ولم أضر

ولم أبغ في جهري، ولا خطراتي

ولا غلبتني شقوة أو سعادة

على حكمة آتيتني وأناة

ولا جال إلى الخير بين سرائري

لدى سدة خيرية الرغبات

ولا بت إلا كابن مريم، مشفقا

على حسدي، مستغفرا لعداتي

ولا حملت نفسي هوى لبلادها

كنفسي، فى فعلي، وفى نفثاتي

وإني - ولا من عليك بطاعة-

أجل، وأغلى فى الفروض رزكاتي

أبلغ فيها وهي عدل ورحمة

ويتركها النساك فى الخلوات

وأنت ولي العفو، فامح بناصع

من الصفح ما سودت من صفحاتي

ومن تضحك الدنيا إليه فيغترر

يمت كقتيل الغيد بالبسمات

يسير بأرض أخرجت خير أمة

وتحت سماء الوحي والسموات

يفيض عليها اليمن فى غداوته

ويضفى عليها الأمن فى الروحات

إذا زرت - يا مولأى - قبر محمد

وقبلت مثوى الأعظم العطرات

وفاضت مع الدمع العيون مهابة

لأحمد بين الستر والحجرات

وأشرق نور تحت كل ثنية

وضاع أريج تحت كل حصاة

لمظهر دين الله فوق تنوقه

وبأني صروح المجد فوق فلاة

فقل لرسول الله: يا خير مرسل

أبثك ما تدرى من الحسرات

شعوبك فى شرق البلاد وغربها

كأصحاب كهف فى عميق سبات

بايمانهم نوران، ذكر، وسنة

فما بالهم فى حالك للظلمات؟

وذلك ماضي مجدهم وفخارهم

فما ضرهم لو يعملون لآتي؟

وهذا زمان، أرضه، وسماؤه

مجال لمقدام كبير حياة

مشى فيه قوم فى السماء وأنشئوا

بوارج فى الأبراج ممتنعات

فقل: رب رفق للعظائم أمتي

وزين لها الأفعال والعزمات

مرثية ما قبل الغروب[١]

في أى شئ أمام الله قد عدلوا

تاريخنا القتل والإرهاب والدجل

من ألف عام أرى الجلاد يتبعنا

في موكب القهر ضاع الحلم والأجل

نبكي على أمة ماتت عزائمها

وفوق أشلائها تساقط العسل

هل ينفع الدمع بعد اليوم فى وطن

من حرقة الدمع ما عادت له مقل

في جرحنا الملح هل يشفى لنا بدن

وكيف بالملح جرح المرء يندمل

أرض توارت وأمجاد لنا اندثرت

وانجم عن سماء العمر ترتحل

ما زال فى القلب يدمى جرح قرطبة

ومسجد فى كهوف الصمت يبتهل

---

[١] الشاعر فاروق جويدة

فكم بكينا على أطلال قرطبة

وقدسنا لم تزل فى العار تغتسل

في القدس تبكي أمام الله مئذنة

ونهر دمع على المحراب ينهمل

وكعبة تشتكي لله غربتها

وتنزف الدمع فى أعتاب من رحلوا

كانوا رجالا وكانوا للورى قبسا

وجذوة من ضمير الحق تشتعل

لم يبقى شئ لنا من بعد ما غربت

شمس الرجال تساوى اللص والبطل

لم يبقى شئ لنا من بعد ما سقطت

كل القلاع تساوى السفح والجبل

في ساحة الملك أصنام مزركشة

عصابة من رماد الصبح تكتحل

وأمة فى ضلال القهر قد ركعت

محنية الرأس للسياف تمتثل

في كل يوم لنا جرح يطاردنا

وقصة من مآسي الدهر تكتمل

قد كان أولى بنا صبح يعانقنا

ويحتوي أرضنا لو أنهم عدلوا

عمري هموم وأحلام لنا سقطت

أصابها اليأس والإعياء والملل

يا أيها العمر رفقاً كان لي أمل

أن يبرأ الجرح لكن خانني الأمل

ففي خيالي شموخ عشت أنشده

صرح تغنت به أمجادنا الأول

لكن العار يأبى أن يفارقنا

ويمتطى ظهرنا أيان نرتحل

يا أيها الجرح نار أنت فى جسدي

وجرحنا العار كيف العار نحتمل

قالوا لنا أرضنا أرض مباركة

فيها الهدى والتقى والوحي والرسل

مالي أراها وبحر الدم يغرقها

وطالع الحظ فى أرجائها زحل

لم يبرح الدم فى يوم مشانقها

حتى المشانق قد ضاقت بمن قتلوا

يا لعنة الدم من يوما يطهرها

فالغدر فى أهلها دين له ملل

في أى شئ أمام الله قد عدلوا

وكلهم كاذب قالوا وما فعلوا

هذا جبان وهذا باع أمته

وكلهم فى حمى الشيطان يبتهل

من يوم أن مزقوا أعراض أمتهم

وثوبها الخزى والبهتان والزلل

عار على الأرض كيف الرجس ضاجعها

كيف استوى عندها العنين والرجل

يا وصمة العار هزى جزع نخلتها

يساقط القهر والإرهاب والدجل

ضاعت شعوب وزالت قبلنا دول

وعصبة الظلم لن تعلو بها دول

البحث عن بداية[1]

من أى قاع سحيق سوف نبتدئ

وكلما لاح نجم راح ينطفئ

العمر ضاع سدى عمر بأكمله

ونحن نلبس حلما بات يهترئ

نستقرئ الغيب على الغيب يسعفنا

ونستريح إلى السلوى ونتكئ

تئودنا عثرة حتى إذا اعتدلت

أقدامنا خطوة عدنا فننكفئ

هذى القبيلة قد فحت ضغائنها

فليس يجمعها ماء ولا كلأ

إن تسمع يوماً ففي خلف وتفرقة

وإن تسر فعلى أقداسها تطأ

هل يكتب الدهر عنهم أنهم وئدوا

أو أنهم بعثروا فى التيه واختبأوا

وأنهم ذات يوم ها هنا عبروا

على الرمال ويوماً ها هنا طرأوا

---

[1] فاروق شوشة – جريدة الأهرام بتاريخ ٤/١١/١٩٩٠ ص١١.

الله فى همم باتت مضيعة

وفي نفوس عرا جدرانها الصدأ

هذا هو الجمع عقدا كان وانفرطت

حباته مثلما قد ضيعت سبأ !

يا من رميت فلم تدرك لأى مدى

لما رميت ولما طير النبأ

ليس العدو أشقاء عصفت بهم

غدرا وأنت على الأرحام تجترئ

سلبتهم جلوة الدنيا وزينتها

وديرة فى ليالي أنسها نشأوا

كم آزروك وودوا لو فدوك هوى

كم دافعوا عنك أخطارا وكم درأوا

وألهوا منك فى أعماقهم صنما

لمثل طلعته فى ليلهم ظمئوا

طعنت حلمهم الوردي حين رأوا

أن الذى عشقوه منه قد رزئوا

وأن خنجرك المسموم حين هوى

أصاب قلباً يفيض الحب يمتلئ

ليس العدو شقيقاً قد عصفت به

عذرا وأنت على الأرحام تجترئ

إن العدو بساح القدس نعرفه

كل الرصاص الذى أطلقته خطأ

في معرض الكون يجلو الناس صورتهم

ونحن يأسى على مأساتنا الملأ

كانوا فحولاً فغاضوا فى مضاجعهم

وكلما أخذتهم رجعة قمؤوا

كان السبيل هدى لو أنهم رشدوا

كان لنهار ضحى لو أنهم جرؤوا

كان المدى باذخاً من حوله احتشدوا

فليت أنهموا تاريخهم قرأوا

ليس الزمان الذى نرجو وليس لنا

لديك إلا الردى المسموم والحمأ

يا أيها الميد المحزون كم حشدوا

من حول نارك ما كلوا ولا هدأوا

كانت زمازمهم فى الساح واحدة

مكروة اللحن تنهيها ليبتدئوا

بأى خزى ووجه شائه ويد

شلاء تستقبل الشعر الذى عبأوا

هذى القصائد عار الشعر فوقهمو

فليت أنهمو من عارهم برئوا

هذى الخناجر كم ضجت وكم هتفت

ليستريح على أنفاسنا وبأ

أنظر إلى حالهم تلق الذين أتوا

يوماً إليك بهذا الشعر قد هزئوا

في ذمة الله والتاريخ ما كتبوا

في ذمة الحق والأرحام ما اجترعوا

يا من تقطع فى أوصال أمتنا

وأنت تمعن فى نهب وتدرئ

من كان يعشق عدلاً كيف يصلبه

أو كان يطلب حقاً كيف يجتزئ

تبقى الكويت برغم البغي لؤلؤة

بريقها فى الليالي ليس ينطفئ

ثنائية الشذا والقذى

١- المعارج

أعلن الآن على الأشهاد ميثاق جنوني

وأغنـــــي

إن لي فى الحلم دارا تحتويني

وطيوفا تستبيني

ومدى يشتاقه قلب المغنى

أعلن الآن على الأشهاد ميثاق جنوني

وأغنـــــي:

ضقت ذرعاً بوجود ضاق عني

وخواء حائل بيني وبيني

فدعوني

مبحراً فى لج فني

فهو كوني

أعلن الآن على الأشهاد ميثاق جنوني

وأغنـــــي:

إنما يشغل مثلي

وردة الروح وموال اليقين

وشذا قد خبأته لي قوارير التحلي

وفيوضات بها تبصر سر السر عيني

أعلن الآن على الأشهاد ميثاق جنوني

وأغنـــــــــي:

هكذا تأخذني الأفلاك مني

لرؤى (تسرج لي الأفق براقاً يصطفيني

وتمد الريح لي دربا إلى كل الجهات)

فإذا بي والمد ملك يميني

ومواقير السنا تفتح لي بوابة الألوان

لونا بع لون

أعلن الآن على الأشهاد ميثاق جنوني

وأغنـــــــــي:

هاهنا أخلع عني

قيد سجني

وليالي الطعينة

وكلاليبي اللعينة

وخيامي، وعباءتي

وأبني:

وطنا لا يغتدى أمثولة بين البرايا

هاهنا أنضو عن القلب الكوابيس/الرزايا

والكواليس/التكايا

وبلاد آدها النوم الطويل

هاهنا أكشف عن أسباب حزني

أعلن الآن على الأشهاد ميثاق جنوني

وأغنـــــــــي:

أيها المرقى الجميل

لا تعدني

لدياري ..

لطواحين انحداري واندحاري واحتضاري

وانتحاري ..

وسكاكين انشطاري وانكساري وانهياري

وبراكين انفجاري وانتثاري واندثاري

ومجانيق اللظى العاصف بي

في مهاوي اللهب

وجواحيم الغضب

وسراديب العذاب المستكن

أعلن الآن على الأشهاد ميثاق جنوني

وأغنـــــــي:

أعلن الآن على الأشهاد ميثاق جنوني

وأغني النار والدمع الكظيم

ما يعانيه الغضى/ الجسم الهشيم

في يدي كير الجحيم

رقصة المذبوح تمليها النهاية

أم هو الصحو الأليم؟

حدثيني يا هموم

وتكلم أيها الوقت / النفاية

أنني الغارق فى لجى وسواسي وناري

أتقرى – وعلى كل جدار –

صور الأندلس / الجرح / الفجيعة

وهي تهوي – فى غباء مستحيل – تحت أقدام الضوارى

والخديعة

حدثيني يا هموم

وتكلم أيها الوقت النفاية

ما الذى ينتظر الجسم الرميم

ما الذى يقدر أن ينسينيه

وهو فى كل دهاليز شراييني يقيم؟

ثم من يحمل عني عبء روحي الجامحة.

الأسى البركان .. والسهد الحرائق

الهوى الألغام .. والعشق الصواعق

أجنوني؟

أم ظنوني؟

أم شجوني

أم حروفي السابحة؟

- حدا وصقورا جارحة -

في دمى / تطلب رأسي كلما طيف النوم أن يـ

وجهه الهارب مني؟

أم شظايا خجلي

من زماني الطلل

وانتكاسات تعيد النار للجسم الذى يقعى

على برميل نفط (ولدته أمه / الأرض

سلاماً

ووئاماً

فجعلناه:

أقساماً وانتقاماً

وانهزاماً

ومطايا نزوات فاضحة

وتجن وتدنى)

أعلن الآن على الأشهاد ميثاق جنوني

وأغنـــــي:

أعلن الآن على الأشهاد ميثاق جنوني

وأغني أغنيات النار والعار الملم:

أن قومي

فتية الكهف .. فمن يوقظ قومي

من سبات الأبد ؟ ..

أيها القات الذى اغتال غدى

بعدما أخنى على أمسى ويومي

أيها النفط / السقوط

المتاه / الأخطبوط

الغشاوات / الغوايات / الهلاوس

أيها الناس / الطيالس

والطنافس

المغنى والغوانى والأغاني والمباني والأواني

والنفائس

أيها الخلق / البسوس / الفتنة / الغبراء / داحس

أى ضيق يعتريني ؟ ...

أى هم ..

كلما أبصرت أنا لم نعد

غير غثاء وزبد

وقذى فى كل عين ؟

أعلن الآن على الأشهاد ميثاق جنوني

وأغنـــــي:

أعلن الآن على الأشهاد ميثاق جنوني

وأغني أغنيات النار يأسا وارتيابا:

ليست الأرض ترابا

وشعابا وهضابا

وطعاما وشرابا

تلك الأرض البهم يا "هي بن بي"

إنما الأرض لدى:

كلمة التاريخ عنا/

هل حفظنا؟ ..

هل أضفنا؟ أم أضعنا كل شئ؟

هل وعينا أنه العار علينا ذلك العيش الغبي؟

و "بنور الأحمر" لا يألون صمتاً وخشوعاً

وخنوعاً وخضوعاً

والغريب الأجنبى

يستحث النار / يذكى لهب الفتنة فى خبث وضغن

آه يا شعري القديم

عندما أطلقت أجراس القوافي

أخرج الكون لسانه

وتمطى فى سرير العجب حتى فاجأته الريح فى يوم عصيب

(قبلما تفاجئنا ريح المهانات الأخيرة

قلت للجدران

يا جدران لا يغررك زيت

وطلاء

ورسوم

فالنجوم ..

تنذر الأرض بشيطان الفجاءة)

آه يا شعري القديم

لم تكن غير نبي فى زمان أرهق الكون وثوقاً

بنفوذ "اللات" و "العزى" و "ود" و "يعوقا"

(كنت لا أبغى جزاء أو شكورا يا بلادي

عندما كنت أنادي:

أيها التاريخ عمد

جسد الريح ..، ووحد

شعث الروح .. ، وجدد

دورة الميلاد. وأصدع بالطلوع:

ألقا يهوى السطوع

قدرا يأبى الرجوع

وتغلغل فى الخلايا .. والحنايا ..

والخفايا ..

والزوايا ..

والأقاصى والنجوع

وأنسرب فى كل واد

غيمه ..

سحرا ..

أريجا لا يحد

رجفة تخترق النسغ وترقى

سلم الأمشاج حتى تتلاقى

والفروع)

آه يا شعري القديم

كم رضينا أن نجوع

رافضين اللقمة / الزيف ولم نعبأ بغبن

أعلن الآن على الأشهاد ميثاق جنوني

وأغنـــــــي:

أعلن الآن على الأشهاد ميثاق جنوني

وأغني أغنيات النار والموت المشاع

طلع النفط علينا من ثنيات الصراع

وجب الحزن علينا ما دعا للهم داع

أيها الناس الضحايا والدجى عات القناع

أنه الموت تبدى جيشه الضخم الذراع

يعذر العاشق أما قد مضى دون وداع

فالتي كانت هواه أسلمته للأفاعي

يا تباريح شجوني

لم يعد بيني وبيني من سلام

خالط النور بعيني الظلام

واجتوى شكي يقيني

فاقطعي مني وتيني

وارحميني يا رجام

يا ليالي الدوامى

ذلك الشرق الشريح

سيفي الممسك به

في قيامي ...

ومنامي ...

كيف لي ألا أبوح

بانهزامي

يا زمان الزلزلة

آه له:

شاعر يسكن ناسه

منذ كان

دار قلبه

ويغني – وهو يبكي –

مهديا للكون ماسة

خلقتها كف حبه

لم يكن يرجو من الحلم الجبان:

ثروة ..

تاجاً .. رئاسة ..

صولجان

إنما يبغي فؤاداً عربياً

لا يغشيه البلة

يا تواريخ القبيلة

لم يعد شئ هنا للحب أهلاً

مرحباً يا ساعة الصفر وأهلاً

هكذا كدت أقول

هادماً معبد حبي يا "دليلة"

غل بعضي غل بعضي عبثاً

هذه مأساة قومي ودياري

آه يا مأساة قومي ودياري

"لو بغير الماء حلقى شرق

كنت كالغصان ... بالماء اعتصاري"

لو بغير الماء حلقى شرق؟

دعني وشبابتي يا أعجب العجب

"فقد يغني الفتى من شدة "الوصب

وأمدد يديك بحبل لجمر تشنقني

الموت بالنار مثل الموت بالعرب؟[١]

---

(١) الأستاذ محمد الشهاوي.

بكائية القار والعار

أيا فتنة مزقتنا بوادي الشتات

وجرثومة عربدت فى هيولى الحياة

ودمرت الكائنات

يا ثروة أرضعتنا الشراهة والفقر

يا قوة دحرجتنا إلى هوة الوهن

يا شهوة ارجعتنا إلى رتبة البهم

يا حية المعجزات

التى ابتلعنا

ويا شمعة أشعلت فى ليالي هوانا

وفي لعبة الطيش

قد أحرقت نفسها ... أحرقتنا

ويا نعمة أونت بالسواد القلوب الغريرة

ويا نقمة حسدتنا عليها النفوس الحقيرة

لتتسكب الآن فوق بين الخليج سيولاً غزيرة

ليقتحم القار من ظلمات السماء على أرضنا

غضبا لعنة وسموما مريرة

ليقتتل الأخوة الفرقاء

لتزو الدماء رمال الجزيرة

نخبا على شرف الأجنبى

لترقص جموح المجانين جذلى

بموت مهين

وعار لعين

وذكرى انتحار غبي

ويا سادة الحفل

يا زعماء السكارى

انثروا فوق لوثة هذى الرؤوس العطايا

ألا هللوا لنحيب الضحايا

ألا باركوا زمجرات المراجم

وحيوا هطول القنابل

فبين فحيح الصواريخ

تهوى الجماجم

ألا صفقوا للدماء الرخيصة حين تراق

مزيجاً مثيراً يعرى هوى اللهو فيكم

ففي (السرك) ما يستبيكم

ألا حركوا كل هذى الدمى

فشطرنجكم

رقعة الموت فيه بحجم المدى

وهيا احتشدوا فى صيادى الردى

كل هذي الجموع

فتلك المباراة تسلية

تشعلون بها النفط ناراً غبراً دماراً

وجائزة ووساماً لمن سيبيد

ومن سيبيد

وسيان كان الوقود من الناس

أم من خيول المدى العربي

وهيا بقرحتكم أطلقوا فى سماء القيامة بعض الحمام

وأقواس نصر وأغصان زيتونة وأكاليل غار

فحين تسوى بنا الأرض بعد انقشاع الغبار

يحل الوئام

ودوسوا على جثث القوم نشوى

وغنوا نشيد السلام

وسوف يردده كل حي كما الببغاء

وسوف يعم بأرض الفناء الغناء

ويرفل فى طيلس الخيلاء ضمير دعاة البقر

وترتاح فى عالم من هناء

جفون حماة الرذائل والقيم البربرية

فبعد انقضاء القرون

وباسم الحضارة تستنزف البشرية

وتمحى رؤى الكون والأبجدية

بحرب صليبية بل يهودية بقناع وباسم معار

تحرر نفط البلاء المقدس

أكذوبة صدقتها عقول البلاهة والانسياق المدنس

أيهذى الجياد التى روضتها الأيادي الدنيئة

وقادت خطاها إلى غابة الوحل بين نيوب الخطيئة

وسط الدنة نحو السقوط الرهيب

ومستنقع النفط فخ عجيب

وقد زينته أيادي الحواة

فمن يمسح القار

من يغسل العار

عن جسد الفرس العربي؟

ومن يمسح الدم

والغل والثأر يقلى القلوب؟

فياليت فرسان هذا الزمان

تعلمنا

لنوارى سواعتنا

ونخبئ – يا ورق التوت – عوارتنا

فماسأة قومي

بطل التواريخ والجسد المتهرئ

فوق عباب الخليج وبين رمال المحيط

وحجم المصيبة حجم التمزق

حجم التشرذم والمهزلة

فقد أحرق الأخوة الجبناء قراهم

واستغاثوا بسطوة هذا الحذاء الغشوم

ليطمس قدس ثراهم

واستعاروا سموم الفرنجة

حتى تداوى دماهم

وقد حاصرتنا شياطين خلف الردى والفتن

وغصنا عميقاً بجوف المحن

ولم نجن غير الضياع

وقد مزقتنا الضوارى الجياع

(فوائد قوم لئام مصائبنا وجراح القلوب العصية وأضحوكة نحن

قدامهم نحن شر البلية)

فمن يأخذ النعمة النقمة المارد المتفجر

من تحت أرض مقدسة لوثتها يداه

وعاشت فساداً خطوات الطغاة؟

فلم نجن منه سوى فتنة تحتوينا

سوى ردة تصطلينا

ولم نجن منه سوى فرقة وعذاب مقيم

ومن يأخذ الزيت حتى يعود لنا البيت

والأهل والخبز والملح

حتى يعود لنا الشعر والحلم

واحة حب وعش سلام؟

ومن ذا يعيد لنا بلداً آمناً

يرزق الله من فضله أهله ثمرات القناعة؟

ومن يعيد لنا وحدة الصف والقلب

في صلوات الجماعة؟[١]

---

[١] د/ محمـــد محسن – ديوان: العتاق إلى القيود ص٧٦: ٢ – مطابع نفرتيتي إسكندرية ١٩٩٣.

البحر موعدنا[1]

وشاطئنا العواصف
جازف
فقد بعد القريب
ومات من ترجوه
واشتد المخالف
لن يرحم الموج الجبان
ولن ينال الأمن خائف
القلب تسكنه المواويل الحزينة
والمدائن للصيارف
حلت الأماكن للقطيعة
من تعادي أو تخالف؟
جازف
ولا تأمن لهذا الليل أن يمضي
ولا أن يصلح الأشياء تالف
هذا طريق البحر
ولا يفضى لغير البحر
ولمجهول قد يخضى لعازف
جازف
فإن سدت جميع طرق الدنيا أمامك فاقتحمها
لا تقف
كي لا تموت وأنت واقف.

---

(١) الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة

المراجع

القرآن الكريم

١- تفسير القرآن العظيم

٢- في ظل القرآن

٣- الجامع لأحكام القرآن

٤- صحيح البخاري

٥- صحيح مسلم

٦- الحاكم

٧- سيرة ابن هشام

٨- منهاج المسلم

٩-الابتداع العام والخاص

١٠-نهج البلاغة

١١-ديوان مع الله والذرة

١٢-فن الخطابة - كيف تكسب الثقة وتؤثر بالناس

١٣-ديوان انعتاق إلى القيود

١٤-ديوان محمد إبراهيم أو سنة (الأعمال الكاملة)

١٥-ديوان زهرة اللوتس

١٦-جريدة الأهرام.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	٣
الباب الأول: الحاجز لنفسي	٥
الفصل الأول – المزايا النفسية للخطيب	٧
١- الثقة بالنفس	٧
٢- سيكولوجية الخطابة	٨
٣- سموه المبلغ	١٠
٤- الخوف من التكذيب	١١
٥- ضيق الصدر	١١
٦- اعتقال اللسان	١٢
٧- دقة الحوار	١٣
السؤال الأول	١٤
السؤال الثانى	١٦
ثانياً: قيام مثال الخير فى نفس الخطيب	١٩
رأى الإمام ابن كثير	٢٠
رأى القرطبى	٢٣

رأى الأستاذ/ سيد قطب ٢٦

الفصل الثانى: تخطي الحاجز النفسى ٣١

الحق والحياء ٣٢

خلق الحياء فى المسلم ٣٣

الحياء المكتسب ٣٦

الكليات العملية ٤١

الإبداع ٤٢

١- الدافعية والمزاج والطبع ٤٢

٢- أقسام الدافعية ٤٣

٣- المبدع والمجتمع ٤٤

القسم الأول - الدافعية الخارجية ٤٤

القسم الثانى - الدافعية الداخلية ٤٥

المناخ ٤٨

تأثير الجماعة على الإبداع ٥١

تربية الإبداع ٥٢

الباب الثانى - المضمون ٥٧

الفصل الأول - تحليل المضمون ٥٩

الخطابة فى عصر العلم ٦٠

أسباب ضعف المضمون ٦٢

١- النفوذ الأجنبى فى بلاد المسلمين ٦٢

٢- الحكام المستبدون ٦٢

٣- ضعف الثقافة ٦٣

٤- ضعف التدين ٦٤

فوائد تحليل المضمون ٦٤

تحديد المضمون ٦٦

خدمة المضمون ٦٩

العوامل الخارجية: الأبعاد ٧٠

١- البعد الثقافى ٧١

٢- البعد المكانى ٧١

٣- البعد الزمانى ٧٣

٤- البعد اللغوى ٧٥

٥- البعد النوعى ٧٧

٦- البعد المصدرى	٧٨
أ- القرآن الكريم	٧٨
ب- السنة الشريفة	٧٩
ج- البخاري ومسلم	٨٠
د- الحديث الضعيف	٨١
المصادر الأخرى	٨٢
١- كتب التاريخ والسير	٨٢
كتب المواعظ	٨٤
الفصل الثانى: ذاتية الخطيب	٨٧
الثقة بالنفس	٨٧
الرغبة القوية	٨٨
تحديد الموضوع	٨٩
التدريب	٩٠
الموقف الواثق	٩١
الموضوع	٩٢
التحضير	٩٤
المادة العلمية	٩٤

المعلومات الزائدة	٩٧
تنسيق المعلومات داخل الذهن	٩٨
بناء الخطبة	٩٨
استحضار المعلومات	١٠٠
أ- الطبع	١٠١
ب- التكرار	١٠٤
ج- النسيج الفكري	١٠٥
الصفات الذاتية للخطيب	١٠٧
١- المثابرة	١٠٧
٢- الجزاء والجائزة	١٠٧
٣- الإرادة	١٠٨
٤- الخوف	١٠٨
٥- الإلقاء	١٠٩
٦- استخدام الصوت	١٠٩
أ- كلمة الحق	١٠٩
ب- المساحة الزمنية	١١٠
ج- تلوين الصوت	١١٠

٧- الحضور ١١١

٨- الملابس ١١٢

٩- الابتسامة ١١٢

١٠-الجمع والعقل الجمعي ١١٣

١١-إضاءة المكان ١١٣

١٢-السكون ١١٥

١٣-الإشارة ١١٥

المقدمة ١١٦

الخاتمة ١١٧

فاعلية الخطبة ١١٩

الباب الثالث – تدريب عملى ١٢٣

الفصل الأول – تمارين خطابة ١٢٥

تمرين ١ ١٢٥

تمرين ٢ ١٢٦

تمرين ٣ ١٢٧

تمرين ٤ ١٢٨

ملاحظة ١٢٨

تمرين ٥ ١٢٩

تمرين ٦ ١٣٠

تمرين ٧ ١٣١

تمرين ٨ ١٣٢

تمرين ٩ ١٣٣

تمرين ١٠ ١٣٤

تمرين ١١ ١٣٥

تمرين ١٢ ١٣٦

تمرين ١٣ ١٣٧

تمرين ١٤ ١٣٨

تمرين ١٥ ١٣٩

تمرين ١٦ ١٤٠

تمرين ١٧ ١٤١

تمرين ١٨ ١٤٢

تمرين ١٩ ١٤٣

الفصل الثانى – نماذج أدبية ١٤٥

القدرة للإمام على بن أبى طالب ١٤٥

التوحيد للإمام على بن أبى طالب	١٤٩
الشعر	١٥٥
مع الله والذرة	١٥٥
الهمزية النبوية	١٦٦
في ذكرى المولد النبوى	١٨٢
إلى عرفات الله	١٩١
مرثية ما قبل الغروب	١٩٦
البحث عن بداية	٢٠٠
ثنائية الشذا والقذى	٢٠٤
بكائية القار والعار	٢٠٧
البحر موعدنا	٢٢٤
المراجع	٢٢٥
فهرس الموضوعات	٢٢٧